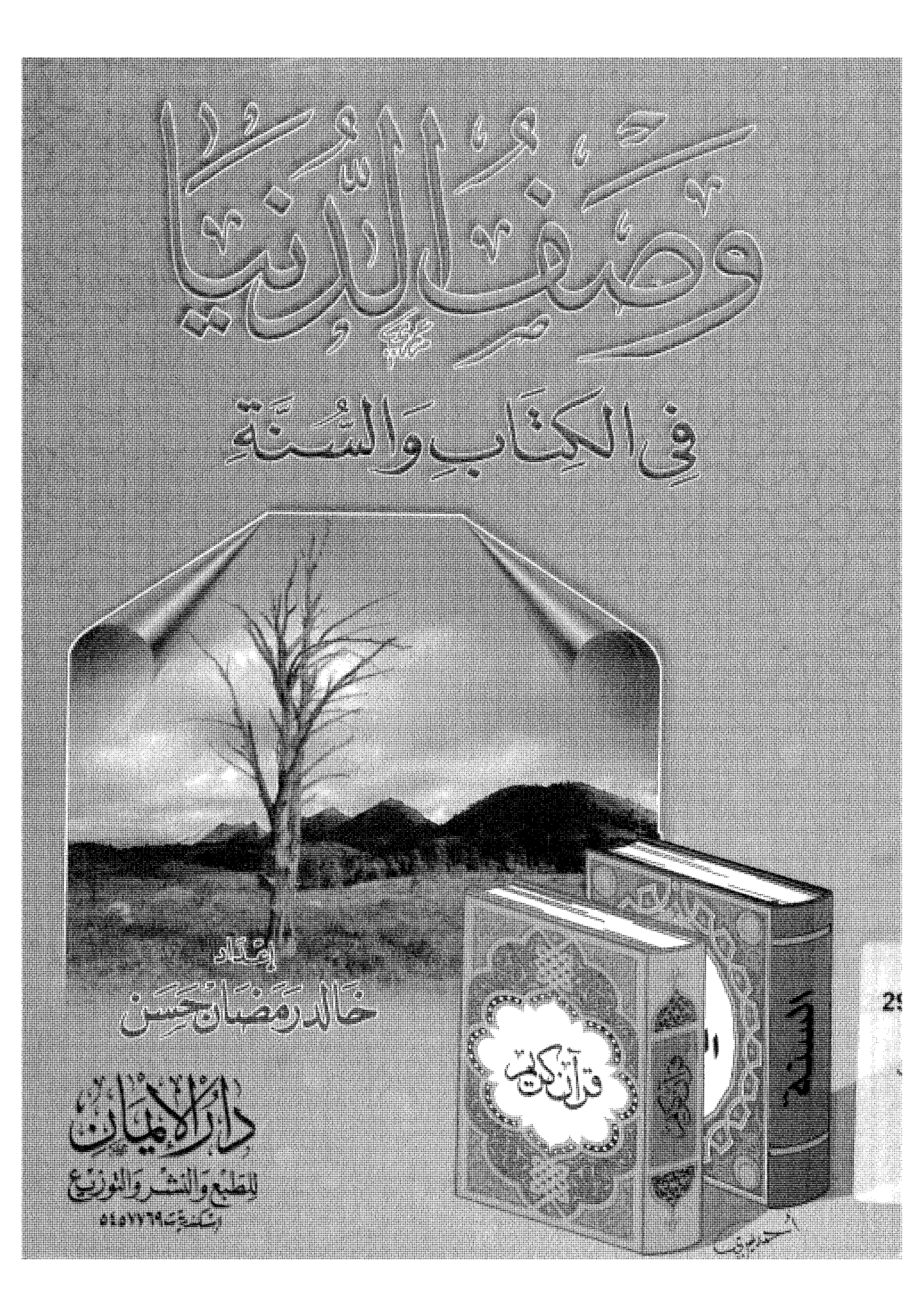


وصف الدنيا
في الكتاب والسنة
إعداد
خالد رمضان حسن
دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
قرآن كريم



في الكتاب والسنة

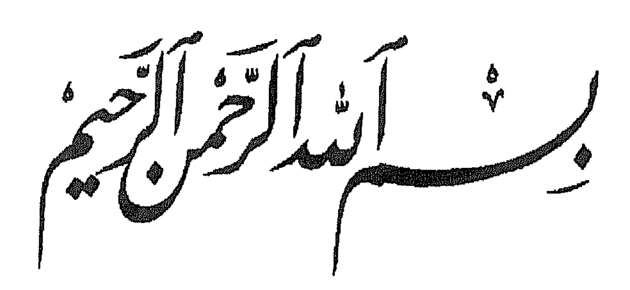
تأليف

خالد رمضان حسن

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ـ ٥٤٤٦٤٩٦


بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع ١٤٤٦٢ / ٩٩

الترقيم الدولى

977-331-014-0

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن الله تعالى خلق الدنيا والآخرة ، وجعل الآخرة دار ثواب وجزاء ، فهى لمن آمن بالله تعالى : دار ثواب وسعادة ونعيم ، ولمن كفر بالله تعالى : دار جزاء وشقاوة وجحيم .

وجعل تبارك وتعالى الدنيا وسيلة وسبيلاً إلى ذلك ، فجعلها داراً للتكاليف والأعمال والطاعات ، فطوبى لمن وُفق فيها إلى غايات الإيمان وجزاؤه ، وتعساً لمن خُذل فيها .

قال الحسن – رحمه الله تعالى – :

« نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن ؛ وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة ، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق ؛ وذلك أنه ضيّع لياليه وكان زاده منها النار » [(١)] .

والإنسان فى هذه الدار كما قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه :

---

(١) « الزهد » للإمام أحمد ، تحقيق / محمد السعيد بسيونى زغلول « ٤٠٠ » دار الكتاب العربى .

الناس سفر .

والدنيا دار ممر لا دار مقر .

وبطن أمه مبدأ سفره .

والآخرة مقصده .

وزمان حياته مقدار مسافته .

وسنونه منازله .

وشهوره فراسخه .

وأيامه أمياله .

وأنفاسه خطاه .

يُسار به سير السفينة براكبها ، كما قيل :

رأيت أخا الدنيا وإن كان خافضاً

أخا سفرٍ يُسرى به وهو لا يدرى [(١)]

واعلم رحمك الله تعالى :

« أن أفات الناس ، وسبب تعبهم وشقائهم هو : حرصهم على الدنيا والركون إليها ظناً منهم أنها دار الخلد ، ونسوا أو تناسوا أن الدنيا ظل زائل ، وأنها مطية السائر ، وزاد المسافر ، وقنطرة العابر ، لا دار العامد .

---

(١) « الذريعة إلى مكارم الشريعة » للراغب الأصفهانى / تحقيق د / أبو اليزيد العجمى (٦٩] دار الصحوة للنشر .

وفى هذا الكتاب :

[وصف الدنيا في الكتاب والسُّنة]

مبينين فيه :

* وصف الدنيا ومثلها فى القرآن الكريم ، والسُّنة المشرفة وأقاويل السلف .

* الدنيا المذمومة ، والدنيا المحمودة .

* متاع الدنيا وزينتها .

* أهل الدنيا وأهل الآخرة .

* التحذير من الافتتان بالدنيا .

والله تعالى نسأل القبول والنفع ، إنه سميع مجيب الدعاء ، وصلى اللهم وسلم على محمد خير الأنام ، وعلى آله وصحبه هداة الإسلام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

أبو الحارث السويفي السلفي

خالد بن رمضان حسن جاب الله

١ - تعريف الدنيا

* سُميت الدنيا : لدنوها ، ولأنها : دنت ، وتأخرت الآخرة .

وكذلك السماء الدنيا هي القربى إلينا ، والنسبة إلى الدنيا : دنياوى ، ويقال : دنيوى ودُنْيِيٌّ ... [(١)] .

والدنيا : نقيض الآخرة ، والدنيا أيضاً : اسم لهذه الحياة لبُعد الآخرة عنها .

والسماء الدنيا لقربها من ساكنى الأرض . ويقال : سماء الدنيا ، على الإضافة [(٢)] .

ولقد وردت لفظة « الدنيا » فى القرآن الكريم على نحو مائة وخمسة عشر مرة ، وردت مضافة إلى الحياة ، وهذا فى قوله تعالى :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

وهذا كثير فى كتاب الله تعالى ، ووردت مجردة وهذا فى قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

---

(١) المعنى : أن المتلبس بالدنيا ، المنهمك فيها ، ينسبوه إليها بقولهم : رجل دنيوى .
(٢) « لسان العرب لابن منظور ، مادة « دنا » .

ووردت مضافة إلى السماء كصفة لها ، وهذا فى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾ [الملك : ٥] .

قال الزمخشرى – رحمه الله تعالى – :

« القربى ؛ لأنها أقرب السموات إلى الناس ، ومعناه : السماء الدنيا منكم » (١) .

وقال أبو حيان التوحيدى – رحمه الله تعالى – :

« السماء الدنيا : هى التى نشاهدها ، والدنو أمر نسبى ، وإلا فليست قريبة » (٢) .

ومن أسماء الدنيا :

الأولى :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الليل : ١٢ ، ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [الضحى : ٤] .

وفى تفسير الآية الأولى : « أى الدنيا والآخرة لله تعالى » (٣) .

وفى تفسير الآية الثانية : « أى ما عندى فى مرجعك إليَّ يا محمد ، خير لك مما عَجَّلتُ لك من الكرامة فى الدنيا » (٤) .

---

(١) « الكشاف » للزمخشرى « ٤/١٣٥ » دار الفكر – بيروت .
(٢) « تفسير البحر المحيط » لأبى حيان « ٨/٢٩٩ » دار الفكر .
(٣) « تفسير القرطبى » (٢٠/ ٨٦) .
(٤) « تفسير القرطبى » (٢٠ / ٩٥) .

العاجلة :

قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) ﴾ [الإسراء : ١٨] .

« يعنى الدنيا ، والمراد : الدار العاجلة ، فَعُبِّر بالنعت عن المنعوت » [١] .

---

(١) « تفسير القرطبى » (١٠ / ٢٣٥) .

٢ - وصف الدنيا ومثلها في القرآن الكريم

اعلم رحمك الله تعالى :

أن الله تعالى وصف الدنيا بأوصاف عديدة ، وضرب لها الأمثال ، ومن هذه الأوصاف وهذه الأمثال :

١ - أنها متاع :

قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

فى هذه الآية يخبر تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت ، كقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧] .

فهو تعالى وحده الذى لا يموت ، والجن والإنس يموتون ، وكذلك الملائكة وحملة العرش ، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء ، فيكون آخراً كما كان أولاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

تصغير لشأن الدنيا وتحقير لأمرها ، وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة [١] .

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

---

(١) « تفسير القرآن العظيم » ابن كثير « ٤٣٤/١ ، ٤٣٥ » باختصار .

« أى تغُر المؤمن وتخدعه ، فيظن طول البقاء وهى فانية » .

والمتاع : ما يُتمتع به ويُنتفع ، كالفأس ، والقِدْر والقصعة ، ثم يزول ولا يبقى ملكه ، قال أكثر المفسرين .

قال الحسن : كخُضرة النبات ، ولعب البنات لا حاصل له .

وقال قتادة : هى متاع متروك توشك أن تضمحل بأهلها ، فينبغى للإنسان أن يأخذ من هذا المتاع بطاعة الله سبحانه ما استطاع .

وقد أحسن من قال :

هى الدارُ دارُ الأذى والقذى
ودار الفناء ودار الغِيَرْ

فلو نلتها بحذافيرها
لَمُتَّ ولم تقض منها الوطرْ

أيا من يؤمّل طول الخلود
وطول الخلود عليه ضررْ

إذا أنت شبت وبان الشباب [1]
فلا خير فى العيش بعد الكبرْ

والغَرور : « بفتح العين » : الشيطان ، يغر الناس بالتمنية والوعود الكاذبة .

قال ابن عرفة : الغرور ما رأيت له ظاهراً تحبه ، وفيه باطن مكروه أو مجهول .

---

(١) أى : بَعُدَ وانفصل .

والشيطان غَرور ؛ لأنه يحمل على محاب النفس ووراء ذلك ما يسوء [1] .

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

إنها متاع ، ولكنه ليس متاع الحقيقة ، ولا متاع الصحو واليقظة .

إنها متاع الغرور ... .

المتاع الذى يخدع الإنسان فيحسبه متاعاً ، أو المتاع الذى ينشئ الغرور والخداع ... .

فأما المتاع الحق :

المتاع الذى يستحق الجهد فى تحصيله ... فهو ذاك ، هو الفوز بالجنة ، بعد الزحزحة عن النار [2] .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ (٢٦) ﴾ [الرعد : ٢٦] .

وفى هذه الآية الكريمة : « يذكر تعالى أنه هو الذى يوسع الرزق على من يشاء ، ويقتر على من يشاء ، لما له فى ذلك من الحكمة والعدل » [3] .

« فَبَسْط الرزق على الكافر لا يدل على كرامته ، والتقتير على بعض المؤمنين لا يدل على إهانتهم ... » .

﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يعنى مشركى مكة ، فرحوا بالدنيا ولم يعرفوا غيرها ، وجهلوا ما عند الله .

---

(١) « تفسير القرطبى » (٤ / ٣٠٢) .
(٢) « فى ظلال القرآن » سيد قطب (١ / ٥٣٩ » دار الشروق .
(٣) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٤٤٢) .

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ ﴾ أى فى جنبها .

﴿ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾ أى متاع من الأمتعة [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39) ﴾ [غافر : ٣٨ ، ٣٩] .

يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى ، وآثر الحياة الدنيا ، ونسى الجبار الأعلى ، فقال لهم : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ لا كما كذب فرعون فى قوله : ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) ﴾ [٢٩ : غافر] .

ثم زهدهم فى الدنيا التى قد آثروها على الأخرى وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام ، فقال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ أى : قليلة زائلة فانية ، عن قريب تذهب وتضمحل .

﴿ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ أى : الدار التى لا زوال لها ، ولا انتقال منها ، ولا ظعن عنها إلى غيرها ، إما نعيم ... وإما جحيم » [2] .

٢ - أنها : لعب ولهو وزينة وتفاخر :

قال الله تعلى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (32) ﴾ [الأنعام : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (64) ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

---

(١) تفسير القرطبى » (٩ / ٣١٤) باختصار .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٧٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) ﴾ [محمد : ٣٦] .

أى : شئ يُلهى به ويُلعب ، أى : ليس ما أعطاه الله الأغنياء من الدنيا إلا وهو يضمحل ويزول : كاللعب الذى لا حقيقة له ولا ثبات .

قال بعضهم : « الدنيا إن بقيت لك ، لم تبق لها » [1] .

« وقيل : المعنى : متاع الحياة الدنيا لعب ولهو ، أى : الذى يشتهونه فى الدنيا لا عاقبة له ، فهو بمنزلة اللعب واللهو ... وقيل : معنى « لعب ولهو : باطل وغرور » [2] .

وقال تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) ﴾ [الحديد : ٢٠] .

« قيل : اللعب : ما رغّب فى الدنيا ، واللهو : ما ألهى عن الآخرة ، أى : شغل عنها ، وقيل : اللعب : الاقتناء ، واللهو : النساء .

﴿ وَزِينَةٌ ﴾ .

الزينة : ما يُتزَين به ، فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للآخرة ، وكذلك من تزين فى غير طاعة الله .

---

(١) « تفسير القرطبى » (١٣ / ٦٣٢) .
(٢) « تفسير القرطبى » (٦ / ٤١٤) .

﴿ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ﴾ .

أى : يفخر بعضكم على بعض بها .

وقيل : بالخلقة والقوة .

وقيل : بالأنساب على عادة العرب فى المفاخرة بالآباء .

﴿ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾ .

لأن عادة الجاهلية أن تتكاثر بالأبناء والأموال .

وتكاثر المؤمنين بالإيمان والطاعة .

قال بعض المتأخرين :

﴿ لَعِبٌ ﴾ كلعب الصبيان .

﴿ وَلَهْوٌ ﴾ كلهو الفتيان .

﴿ وَزِينَةٌ ﴾ كزينة النسوان .

﴿ وَتَفَاخُرٌ ﴾ كتفاخر الأقران .

﴿ وَتَكَاثُرٌ ﴾ كتكاثر الدُّهقان [1] .

وقيل : المعنى : أن الدنيا كهذه الأشياء فى الزوال والفناء » [2] .

« ثم ضرب تعالى مثال الحياة الدنيا فى أنها زهرة فانية ، ونعمة زائلة ، فقال : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ .

وهو المطر الذى يأتى بعد قنوط الناس ، كما قال تعالى :

---

(١) أى التاجر : فارسى معرب .

(٢) « تفسير القرطبى » (١٧ / ٢٥٥) باختصار يسير .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ [الشورى : ٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ .

أى يعجب الزرّاع نبات ذلك الزرع الذى نبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ، كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار ؛ فإنهم أحرص شيئ عليها وأميل الناس إليها .

﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ .

أى : يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعدما كان خضراً نضراً ، ثم يكون بعد ذلك حطاماً ، أى يصير يبساً متحطماً ، هكذا الحياة الدنيا : تكون أولاً شابة ، ثم تكتهل ، ثم تكون عجوزاً شوهاء ، والإنسان يكون ذلك فى أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف ، بَهِّى المنظر ، ثم إنه يشرع فى الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى ، قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤) ﴾ [الروم : ٥٤] .

ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة ، وأن الآخرة كائنة لا محالة ، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير ، فقال : ﴿ وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

أى : وليس فى الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا : إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

أى : هى متاع فانٍ ، غارٌ لمن ركن إليه ، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أن لا دار سواها ولا معاد وراءها ، وهى حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة [(١)] .

تنبيه :

ينبغى أن يُعلم أنه : « ليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة ، فإن حقيقة اللعب ما لا يُنتفع به ، واللهو ما يتلهى به ، وما كان مراداً للآخرة خارج عنهما ، وذم رجل الدنيا عند عليٍّ بن أبى طالب رضي الله عنه ، فقال عليٌّ :

الدنيا دار صدق لمن صدَقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها .

وقال محمود الوراق :

لا تتبع الدنيا وأيامها ذاماً وإما دارت بك الدائرة

من شرف الدنيا ومن فضلها أن بها تستدرك الآخرة [(٢)]

وعن عطاء بن رباح قال : رأيت جابر بن عبد الله ، وجابر بن عمير الأنصاريين يرتميان فمل أحدهما فجلس ، فقال له الآخر : كسلت ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل شيئ ليس من ذكر الله لهو ولعب ، إلا أن يكون أربعة : ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشى الرجل بين الغرضين ، وتعليم الرجل السباحة » [(٣)] .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٤/٢٧٤) .

(٢) « تفسير القرطبى » (٦ / ٤١٤ ، ٤١٥) .

(٣) **حديث صحيح** : أخرجه النسائى ، وانظر « صحيح الجامع الصغير » للألبانى ، حديث (٤٤١٠) ، و « السلسلة الصحيحة للألبانى » ، حديث (٣١٥) .

وقال أحمد بن أبى الحوارى :

« قلت لأبى صفوان الرعينى : أى شىء الدنيا التى ذمها الله فى القرآن ينبغى للعامل أن يجتنبها ؟ قال : كل ما عملت فى الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم ... وكل ما أصبت منها تريد به الآخرة فليس منها . فحدثت بها مروان ، فقال : الفقه على ما قال أبو صفوان » (1) .

٣ – أنها كماء أنزله الله تعالى من السماء :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) ﴾ [يونس : ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ﴾ [الكهف : ٤٥] .

« ومعنى الآية : التشبيه والتمثيل ، أى : صفة الحياة الدنيا فى فنائها وزوالها ، وقلة خطرها والملاذ بها : كماء ، أى : مثل ماء » (2) .

« شبه سبحانه الحياة الدنيا فى أنها تتزين فى عين الناظر ، فتروقه بزينتها وتعجبه ، فيميل إليها ويهواها ، إغتراراً منه بها .

---

(١) « كتاب الزهد الكبير » ، البيهقى / تحقيق الشيخ / عامر أحمد حيدر (١٨٧) مؤسسة الكتب الثقافية .

(٢) تفسير القرطبى » (٨/٣٢٧) .

حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها ، سُلبها بغتة أحوج ما كان إليها ، وحيل بينه وبينها .

فشبهها بالأرض التى ينزل الغيث عليها ، فتعشب ويحسن نباتها ، ويروق منظرها للناظر ، فيغتر بها ، ويظن أنه قادر عليها ، مالك لها ، فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة ، فتصبح كأن لم تكن قبل شيئاً ، فيخيب ظنه ، وتصبح يداه منها صفراً .

فهكذا حال الدنيا والواثق بها سواء . وهذا من أبلغ التشبيه والقياس .

ولما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات ، وجنة الآخرة سليمة منها ، قال : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾ .

فسماها هاهنا دار السلام ؛ لسلامتها من هذه الآفات التى ذكرها فى الدنيا ، فعم بالدعوة إليها ، وخص بالهداية لها من يشاء ، فذاك عدله ... وهذا فضله » [1] .

فائدة :

« قالت الحكماء : إنما شبه تعالى الدنيا بالماء :

لأن الماء : لا يستقر فى موضع ، كذلك الدنيا لا تبقى .

لأن الماء : لا يستقيم على حالة واحدة ، كذلك الدنيا .

ولأن الماء : لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى .

ولأن الماء : لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل ، كذلك الدنيا لا يسلم أحد

---

(١) التفسير القيم للإمام ابن القيم » ، جمع محمد أويس الندوى ، تحقيق / محمد حامد الفقى (٣٠٥) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

دخلها من فتنتها وآفاتها .

ولأن الماء : إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً ، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً ، وكذلك الدنيا ، الكفاف منها ينفع ، وفضولها يضر » [1] .

(١) « تفسير القرطبي » (١٠/ ٤١٢)

٣ - وصف الدنيا ومثلها في السُّنة المشرفة

ومن أوصاف وأمثال الدنيا التي في سُّنة النبي ﷺ :

١ – هوانها على الله عز وجل :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق ، داخلاً من بعض العالية ، والناس كَنَفَتَهُ [١] فمر بجدى أسك [٢] ميت فتناوله فأخذ بأذنه ، ثم قال : « **أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟** » .

فقالوا : ما نحب أنه لنا بشئ ، وما نصنع به ؟ .

قال : « **أتحبون أنه لكم ؟** » ؟ .

قالوا : « والله لو كان حياً ، كان عيباً فيه ، لأنه أسكّ ، فكيف وهو ميت ؟ .

فقال : « **فوالله للدنيا أهون على الله ، من هذا عليكم** » [٣] .

الحديث فيه تشبيه وتمثيل النبي ﷺ للدنيا بهذا الجدى الأسك الميت ، والذى عافت الصحابة عن أخذه وإن كان حياً .

وأقسم ﷺ بالله ليؤكد لهم ما يقول ، وهو هوان الدنيا على الله عز وجل وحقارتها عنده ، من هوان هذه الميتة على البشر .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو كانت الدنيا**

---

(١) كنفته : أى جانبه .
(٢) أسكّ : أى صغير الأذنين .
(٣) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم فى كتاب « الزهد والرقائق » حديث (٢) .

تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » [1] .

وهذا « مَثَل لغاية القلة والحقارة ... أى : لو كان لها أدنى قدْر ما متَّع الكافر منها أدنى تمتع . وهذا أوضح دليل وأعدل شاهد على حقارة الدنيا .

قال بعض العارفين : أدنى علامات الفقر : لو كانت الدنيا بأسرها لواحد فأنفقها في يوم واحد ، ثم خطر له أن يمسك منها مثقال حبة من خردل ، لم يصدق فى فقره .

وقيل لحكيم : أى خلق الله أصغر ؟ .

قال : الدنيا ، إن كانت لا تعدل عند الله جناح بعوضة .

فقال السائل : من عظّم هذا الجناح فهو أحقر منه [2] .

٢ - أن الله تعالى جعلها قليلاً :

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إن الله تعالى جعل الدنيا كلها قليلاً ، وما بقى منها إلا القليل ، كالثَّغب شُرب صفوه ، وبقى كدره »** [3] .

« يعنى أنه مثل الدنيا كمثل حوض كبير ملئ ماء وجُعل مورداً للأنام والأنعام . فجعل الحوض ينقص على كثرة الوارد حتى لم يبق منه إلا وشل كدر فى أسفله بالت فيه الدواب وخاضت فيه الأنعام .

فالعاقل لا يطمئن إلى الدنيا ولا يغتر بها بعد ما اتضح له أنها زائلة

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذى ، وانظر « صحيح الجامع » (٥١٦٨) و « السلسلة الصحيحة » (٩٤٣) .

(٢) « فيض القدير شرح الجامع الصغير » للعلامة المناوى (٣٢٨/٥) دار المعرفة / بيروت .

(٣) **حديث حسن** : أخرجه الحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (١٧٣٣) و « السلسلة الصحيحة » (١٦٢٥) .

مستحيلة ، وأنه قد مضى أحسنها ، وأنها وإن ساعدت مدة فالموت لا محالة يدرك صاحبها ويخترمه » [1] .

وعن المستورد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **والله ما الدنيا فى الآخرة : إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه فى اليم ، فلينظر بما ترجع** » [2] .

« ومعنى الحديث : ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة فى قصر مدتها ، وفناء لذاتها ، ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها ، إلا كنسبة الماء الذى يعلق بالأصبع إلى باقى البحر » [3] .

٣ - أن ما يأكله الناس جُعِلَ مثلٌ لها :

عن الضحاك بن سفيان رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « **إن الله تعالى جعل ما يخرج من بنى آدم مثلاً للدنيا** » [4] .

وعن أُبى رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « **إنَّ مطعمَ ابنِ آدم قد ضُربَ مثلاً للدُنيا ، وإن قزَّحهُ وملَّحَهُ ، فانظر إلى ما يصير** » [5] .

وقا الزمخشرى : معناه أن المطعم وإن تكلف الإنسان التفوق فى صنعته وتطييبه وتحسينه فإنه لا محالة عائد إلى حال يستقذر ، فكذا الدنيا المحروص على عمارتها ونظم أسبابها راجعة إلى خراب وإدبار .

---

(١) « فيض القدير » (٢٢١/٢) .
(٢) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم فى كتاب « الجنة وصفة نعيمها وأهلها » باب فناء الدنيا .
(٣) « **صحيح مسلم** : بشرح النووى » (١٩٢/١٧ ، ١٩٣) مكتبة الرياض الحديثة .
(٤) **حديث حسن** : أخرجه أحمد ، والطبرانى ، والبيهقى ، وانظر « صحيح الجامع » (١٧٣٥) و« السلسلة الصحيحة » (٣٨٢) .
(٥) **حديث حسن** أخرجه ابن حبان ، والطبرانى ، وانظر « صحيح الجامع » (٢١٩١) .

وقال الديلمى : هذا كناية عن البول والغائط ، يعنى ما يخرج منه كان قبل ذلك ألواناً من أطعمة طيبة ، وشراباً سائغاً فصارت عاقبته ما ترون .

فالدنيا خضرة حلوة ، والنفس تميل إليها ، والجاهل بعاقبتها ينافس فى زينتها ، ظاناً أنها تبقى أو هو يبقى .

فشهوات الدنيا فى القلب كشهوات الأطعمة فى المعدة ، وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا فى قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت إلى المعدة غايتها .

وكما أن فى الأطعمة كلما كانت ألذ طعماً وأكثر دسماً وحلاوة كان رجيعها أقذر ، فكذا كل شهوة فى النفس ألذ وأقوى فالتأذى بها عند الموت أشد ، كما أن تفجع الإنسان بمحبوبه إذا فقده ، يقوى بفقد محبة المحبوب .

وقد كان بعض الصوفية يقول لصحبه : انطلقوا حتى أريكم الدنيا ، فيذهب إلى المزابل ، فيقول : انظروا إلى ثماركم ودجاجكم وسكركم » (١) .

٤ - أنها متاع :

عن ابن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » (٢) .

هى مع دناءتها إلى فناء ، وإنما خلق ما فيها لأن يُستمتع به مع حقارتها أمداً قليلاً ثم ينقضى .

والمتاع ماليس له بقاء (٣) .

---

(١) « فيض القدير » (٢٢١/٢) .
(٢) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم فى كتاب « الرضاع » باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة » .
(٣) « فيض القدير » (٥٤٨/٣) .

٥ - أنها حلوة خضرة :

عن ابن عمرو رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « **الدنيا حلوة خضرة ، فمن أخذها بحقه بورك له فيها ، ورب متخوض فيما اشتهت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار** »[(١)] .

يريد أن للدنيا ظاهراً وباطناً ، فظاهرها : ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها ، وإليه أشار قوله سبحانه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الروم : ٧] .

وحقيقتها : أنها مجاز إلى الآخرة ، يتزود منها إليها بالطاعة والعمل الصالح[(٢)] .

وعن أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « **حُلوة الدنيا مُرة الآخرة ، ومرة الدنيا حُلوة الآخرة** »[(٣)] .

« يعنى لا تجتمع الرغبة فيها والرغبة فى الله والآخرة بها ، ولا يسكن هاتان الرغبتان فى محل واحد إلا طردت إحداهما الأخرى ، واستبدت بالمسكن ، فإن النفس واحدة والقلب واحد ، فإذا اشتغلت بشيئ انقطع عن ضده .

قال الإمام الرازى : الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الآخرة ممتنع غير ممكن ، والله يمكن المكلف من تحصيل أيهما شاء ، فإذا أشغله بتحصيل

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه الطبرانى فى « الكبير » وانظر « صحيح الجامع (٣٤٠٤) .
(٢) « فيض القدير » (٣ / ٥٤٥) .
(٣) **حديث صحيح** أخرجه أحمد فى « المسند » والطبرانى فى « الكبير » والحاكم فى « المستدرك » والبيهقى فى « الشعب » وانظر « صحيح الجامع « ٣١٥٠ » .

أحدهما فقط فقد فوت الأجر على نفسه » [1] .

٦ – أنها سجن المؤمن ، وجنة الكافر :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر** » [2] .

« ومعناه : أن كل مؤمن مسجون ممنوع فى الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة ، مكلف بفعل الطاعات الشاقة ، فإذا مات استراح من هذا ، وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان .

وأما الكافر : فإنما له من ذلك ما حصل فى الدنيا من قلته وتكديره بالمنغصات ، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد » [3] .

٧ – أنها ملعونة :

عن أبى هريرة رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « **إن الدنيا ملعونة ، ملعونٌ ما فيها ، إلا ذكرَ الله وما والاه ، وعالماً أو متعلماً** » [4] .

« يمكن أن يكون المراد بلعنها : ملاذ شهواتها وجمع حُطامها ، وما زين من حب النساء والبنين وقناطير الذهب والفضة وحب البقاء بها . فيكون قوله : « ملعونة » : متروكة مبعدة ، متروك ما فيها .

واللعن : الترك .

---

(١) فيض القدير (٣ / ٣٩٦ ، ٣٩٧) .
(٢) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم فى كتاب « الزهد والرقائق » حديث (١) .
(٣) « **صحيح مسلم** : بشرح النووى » (١٨ / ٩٣) .
(٤) **حديث حسن** : أخرجه الترمذى ، وابن ماجه ، وانظر « صحيح الجامع » (١٦٠٥) .

« إلا ذكرَ الله وما والاه » : يعنى ملعون ما فى الدنيا إلا ذكر الله ، وما أحبه الله مما يجرى فى الدنيا ، وما سواه ملعون .

« وعالماً أو متعلماً » : أى هى وما فيها مبعدة عن الله تعالى إلا العلم النافع الدال على الله ؛ فهذا هو المقصود منها [1] .

« قال أبو العباس القرطبى : لا يُفهم من هذا الحديث إباحة لعن الدنيا وسبها مطلقاً » [2] .

---

(١) « فيض القدير » (٣ / ٥٤٩) باختصار .
(٢) « فيض القدير » (٢ / ٣٢٦) حاشية ٣ .

٤ - وصف الدنيا ومثلها في أقوال السلف

ولسادات السلف وأئمتهم أقوال وعبارات فى وصف الدنيا ومثلها .

وأقوال السلف وعباراتهم كشفت عن علمهم بالدنيا وزهدهم فيها .

قال أبو سليمان الدارانى :

« من عرف الدنيا عرف الآخرة ، ومن لم يعرف الدنيا لم يعرف الآخرة » [(١)] .

ومن أقوالهم وعباراتهم فى وصف الدنيا ومثلها :

*** قال الجاحظ يعظ أصحابه :**

« إن الدنيا دار عمل ، من صحبها بالنقص لها والزهادة فيها : سعد بها ونفعته صحبتها ، ومن صحبها على الرغبة فيها والمحبة لها : شقى بها وأجحف بحظه من الله عز وجل ، ثم أسلمته إلى ما لا صبر له عليه ولا طاقة له به من عذاب الله ، فأمرها صغير ... ومتاعها قليل ... والفناء عليها مكتوب ... والله تعالى ولى ميراثها ... وأهلها محولون عنها إلى منازل لا تبلى ولا يغيرها طول الثواء ... منها يخرجون » [(٢)] .

*** وقال مالك بن دينار :**

« اتقوا السحَّارة ؛ فإنها تسحر قلوب العلماء ، يعنى الدنيا » [(٣)] .

---

(١) « حلية الأولياء » (٩ / ٢٦٢) .

(٢) « حلية الأولياء » (٢ / ١٤٠) .

(٣) « حلية الأولياء » (٢ / ٣٦٤) .

*** وقال فرقد السبخي :**

« اتخذوا الدنيا ظئراً والآخرة أماً، أما ترى الصبى يُلقى على الظئر فإذا ترعرع وعرف والدته ، ترك الظئر وألقى نفسه على والدته فإن الآخرة أمكم يوشك أن تجتركم » [(١)] .

شبّه الدنيا بالظّئر ، التى هى مرضعة غير ولدها ، فكما أن الظئر ليست أمه الحقيقية ، فالدينا ليست أمه .

*** وقال شميط بن عجلان :**

« إن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المنقطعين إليه » [(٢)] .

*** وقال وهب بن منبه :**

« مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين ، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى » [(٣)] .

*** وقال ميمون بن مهران :**

« الدنيا حلوة خضرة ، قد حفت بالشهوات ، والشيطان عدو حاضر فطن ، وأمر الآخرة آجل ، وأمر الدنيا عاجل » [(٤)] .

*** وقال أبو عبد الله الصنابحي :**

« الدنيا تدعو إلى فتنة ، والشيطان يدعو إلى خطيئة ، ولقاء الله خير من الإقامة معهما » [(٥)] .

---

(١) « الحلية » (٣ / ٤٥) .
(٢) « الحلية » (١٣٠/٣) .
(٣) « الحلية » (٤ / ٥١) .
(٤) « الحلية » (٤ / ٩٠) .
(٥) « الحلية » (٥ / ١٢٩) .

* رؤى مريح بن مسروق الهوزنى يوماً يرقع شقوقاً فى بيته بزبل البقرة ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنما الدنيا مزبلة نرقعها بالزبل » [1] .

* وقال يزيد بن ميسرة :

« كان أشياخنا يسمون الدنيا : الدنية ، ولو وجدوا لها أسماً شراً منه لسموها ، كانوا إذا أقبلت إلى أحدهم دنيا قالوا : إليك عنا ياخنزيرة ، لا حاجة لنا بك ، إنا نعرف إلهنا » [2] .

* وقال سفيان الثورى :

« إنما مثل الدنيا مثل رغيف عليه عسل ، مر به ذباب فقطع جناحيه ، وإذا مر برغيف يابس مر به سليماً » [3] .

* وقال أيضاً :

« إنما سُميت الدنيا لأنها دنية ، وسُمى المال لأنه يميل بأهله » [4] .

* وقال محمد بن السماك :

« كتب إلىّ رجل من إخوانى من أهل بغداد : صف لى الدنيا ، فكتبت إليه : أما بعد ، فإنه حفها بالشهوات ، وملأها بآفات ، مزج حلالها بالمؤونات ، وحرامها بالتبعات ، حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، والسلام » [5] .

---

(١) « الحلية » (٥ / ١٥٥) .
(٢) « الحلية » (٥ / ٢٣٥) .
(٣) « الحلية » (٧ / ٥٥) .
(٤) « الحلية » (٧ / ١٠) .
(٥) « الحلية » (٨ / ٢٠٤) .

*** وقال محمد بن يوسف :**

« الدنيا غنيمة الله أو الهلكة ، والآخرة عفو الله أو النار » [(١)] .

*** وقال يوسف بن أسباط :**

« الدنيا دار نعيم الظالمين ، قال : وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : الدنيا جيفة ، فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب » [(٢)] .

*** قال القرقساني :**

« أتي يوسف بن أسباط بباكورة ثمرة فغسلها ثم وضعها بين يديه وقال : إن الدنيا لم تخلق لينظر إليها ، وإنما خلقت لينظر بها إلى الآخرة » [(٣)] .

*** وقال أبو بكر بن عياش :**

« رأيت الدنيا فى النوم عجوزاً مشوهة » [(٤)] .

*** وقال حاتم الأصم :**

« مثل الدنيا كمثل ظلك ، إن طلبته تباعد ، وإن تركته تتابع » [(٥)] .

*** وقال يحيى بن معاذ :**

« الدنيا أمير من طلبها ، وخادم من تركها .

الدنيا طالبة ومطلوبة ، فمن طلبها رفضته ، ومن رفضها طلبته .

---

(١) « الحلية » (٨ / ٢٣١) .
(٢) « الحلية » (٨ / ٢٣٨) .
(٣) « الحلية » (٨ / ٢٤٠) .
(٤) « الحلية » (٨ / ٣٠٤) .
(٥) « الحلية » (١٠ / ٤٩) .

الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها ، ليس من العقل بنيان القصور على الجسور .

الدنيا عروس وطالبها ماشطتها ، وبالزهد ينتف شعرها ويسود وجهها ويمزق ثيابها .

ومن طلق الدنيا فالآخرة زوجته ، فالدنيا مطلقة الأكياس ، لا تنقضي عدتها أبداً ، فخل الدنيا ولا تذكرها ، واذكر الآخرة ولا تنسها ، وخذ من الدنيا ما يبلغك الآخرة ، ولا تأخذ من الدنيا ما يمنعك الآخرة » [(١)] .

*** وقال يحيى بن معاذ :**

« الدنيا بحر التلف ، والنجاة منها الزهد فيها » [(٢)] .

*** قال يزيد بن ميسرة :**

« كان أشياخنا يسمون الدنيا خنزيرة ، ولو وجدوا لها أسماً شراً منها لسموها به » [(٣)] .

*** قال أبو عبد الرحمن السلمي :**

حكاية عن الشبلي ، أنه قيل له : ما الدنيا ؟ فقال :

قِدْرٌ تغلي ، وكنيف يُملى » [(٤)] .

---

(١) « الحلية » (١٠ / ٥٣ ، ٥٤) .
(٢) « الحلية » (١٠ / ٥٦) .
(٣) « كتاب الزهد الكبير » (١٣٩) .
(٤) « الزهد الكبير » (١٤٣) .

* وقال الشبلى :

« الدنيا خيال ، وطلبها وبال ، وتركها جمال ، والإعراض عنها كمال ، والمعرفة بالله اتصال »[1] .

* سئل الجنيد عن الدنيا ماهى ؟ فقال :

« الدنيا على وجوه : فهى عند قوم : هذا الفتح الذى تراه بين السماء والأرض ، وقوم : يجعلون الدنيا المتاع الذى فيها من الاتساع والغناء »[2] .

* وقال أبو سعيد الأعرابى :

« سمعت أباغسان القسملى يقول : الدنيا هى النفس ، قال أبو سعيد : وكأنه يقول : الزهد فى الدنيا الزهد فى النفس ، ومعناه فى شهواتها ومحبوبها كله إذا كان يشغل عن الله عز وجل وراحاتها »[3] .

* وقال محمد بن الفضل البلخي :

« الدنيا بطنك ، فبقدر زهدك فى بطنك زهدك فى الدنيا »[4] .

* قال جرير بن يزيد :

« قلت لمحمد بن عليّ بن حسين : عظنى ، قال : يا جرير اجعل الدنيا مالاً أصبته فى منامك ، ثم انتبهت وليس معك منه شىء »[5] .

---

(١) « الزهد الكبير » (١٤٤) .

(٢) « الزهد الكبير » (١٥١) .

(٣) « الزهد الكبير » (١٧٤) .

(٤) « الزهد الكبير » (١٧٥) .

(٥) « الزهد الكبير » (١٤١) .

* وقال الحسن :

« الدنيا ثلاثة أيام : أما أمس فقد ذهب بما فيه ، وأما غداً فلعلك أن لا تدركه ، فاليوم لك ، فاعمل فيه » [(١)] .

* وقال أحمد بن حنبل :

« الدنيا دار عمل ... والآخرة دار جزاء ... فمن لم يعمل هنا ندم هناك » [(٢)] .

* وقال عمر بن محمد المكى :

« خطب عمر بن عبد العزيز فقال : « إن الدنيا ليست بدار قراركم ... دار كتب الله عليها الفناء ... وكتب على أهلها منها الظعن ، فكم عامر موثق عما قليل مخرب ، كم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، وإنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب ، بينا ابن آدم فى الدنيا ينافس فيها وبها قرير العين إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعة ومغناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، إنها تسر قليلاً وتجر حزناً طويلاً » [(٣)] .

---

(١) « الزهد الكبير » (١٩٦) .
(٢) « الزهد الكبير » (٢٨٢) .
(٣) « الحلية » (٥ / ٢٩٢) .

٥ - متاع الدنيا وزينتها

* قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٠) ﴾ [القصص : ٦٠] .

* وقال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) ﴾ [الشورى : ٣٦] .

« إن فى هذه الأرض متاعاً جذاباً براقاً ، وهناك أرزاق وأولاد وشهوات ولذائذ وجاه وسلطان ، وهناك نعم آتاها الله لعباده فى الأرض تلطفاً منه وهبة خالصة ، لا يعلقها بمعصية ولا طاعة فى هذه الحياة الدنيا ، وإن كان يبارك للطائع - ولو فى القليل - ويمحق البركة من العاصى ولو كان فى يده الكثير .

ولكن هذا كله ليس قيمة ثابتة باقية ، إنما هو متاع ، متاع محدود الأجل لا يرفع ولا يخفض ولا يُعد بذاته دليل كرامة عند الله أو مهانة ، ولا يعتبر بذاته علامة رضى من الله أو غضب ، إنما هو متاع .

﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ .

خير فى ذاته ، وأبقى فى مدته ، فمتاع الحياة الدنيا زهيد حين يُقاس إلى ما عند الله ، ومحدود حين يُقاس إلى الفيض المنساب ، ومتاع الحياة الدنيا معدود الأيام ، أقصى أمده للفرد عمر الفرد ، وأقصى أمده للبشرية عمر هذه البشرية ، وهو بالقياس إلى أيام الله ومضة عين أو تكاد » [١] .

---

(١) « فى ظلال القرآن » (٥ / ٣١٦١) .

وفصَّل الله تبارك وتعالى للناس متاع الحياة الدنيا وزينتها .

* قال الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ [آل عمران : ١٤] .

* وقال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً (٤٦) ﴾ [الكهف : ٤٦] .

« يخبر تعالى عما زين للناس فى هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ » (١) .

* ﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ .

« بدأ بهن لكثرة تشوّف النفوس إليهن ؛ لأنهن حبائل الشيطان وفتنة الرجال ، قال رسول الله ﷺ : « **ما تركت بعدى فتنة أشد على الرجال من النساء** » (٢) .

ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء ويقال : فى النساء فتنتان ، وفى الأولاد فتنة واحدة ، فأما اللتان فى النساء :

فإحداهما : أن تؤدى إلى قطع الرحم : لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات .

والثانية : يُبتلى بجمع المال من الحلال والحرام .

وأما البنون ، فإن الفتنة فيهم واحدة ، وهو : ما ابتُلى بجمع المال لأجلهم » (٣) .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (١ / ٣٠٣) .
(٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى ومسلم .
(٣) « تفسير القرطبى » (٤ / ٢٩) .

* ﴿ وَالْبَنِينَ ﴾ .

« وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة ، فهو داخل فى هذا ، وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد ﷺ ممن يعبد الله وحده لا شريك له ، فهذا محمود ، كما ثبت فى الحديث [1] . « تزوجوا الودود الولود ، فإنى مكاثر بكم » [2] .

* ﴿ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ .

« القناطير : جمع قنطار ...

وهو العُقدة الكبيرة من المال » [3] .

« وحب المال : تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء ، فهذا مذموم ، وتارة يكون للنفقة فى القربات ، وصلة الأرحام والقرابات ، ووجوه البر والطاعات ، فهذا ممدوح محمود شرعاً » [4] .

* ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ .

« يعنى الراعية فى المروج والمسارح » [5] .

* ﴿ وَالأَنْعَامِ ﴾ .

« يعنى الإبل ، والبقر والغنم ....

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه أبو داود ، والنسائى عن معقل بن يسار ، وانظر « صحيح الجامع » (٢٩٣٧) .

(٢) « تفسير ابن كثير » (١ / ٣٠٣) .

(٣) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٣٠) .

(٤) « تفسير ابن كثير » (١ / ٣٠٣) .

(٥) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٣٣) ..

* ﴿ وَالْحَرْثِ ﴾ .

يعنى : الأرض المتخذة للغراس والزراعة » [1] .

« قال العلماء : ذكر الله تعالى أربعة أصناف من المال ، كل نوع من المال يتموّل به صنف من الناس .

أما الذهب والفضة : فيتموّل بها التجار .

وأما الخيل المسومة : فيتموّل بها الملوك .

وأما الأنعام : فيتموّل بها أهل البوادى .

وأما الحرث : فيتمول بها أهل الرساتيق [2] . فتكون فتنة كل صنف فى النوع الذى يتمول .

فأما النساء والبنون : ففتنة للجميع » [3] .

* وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

« أى ما يُتمتع به فيها ثم يذهب ولا يبقى ، وهذا منه تزهيد فى الدنيا وترغيب فى الآخرة .

* ﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ .

ومعنى الآية : تقليل الدنيا وتحقيرها ، والترغيب فى حسن المرجع إلى الله تعالى فى الآخرة » [4] .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (١ / ٣٠٤) .

(٢) الرساتيق : واحداها رستاق ، وهى السواد والقرى .

(٣) « تفسير القرطبى » (٤ / ٣٦) .

(٤) « تفسير القرطبى » (٤ / ٣٦ ، ٣٧) .

* وقوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦] .

« وإنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، لأنه فى المال جمالاً ونفعاً ، وفى البنين قوة ودفعاً فصار زينة الحياة الدنيا ، لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين ؛ لأن المعنى : المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلا تتبعوها نفوسكم » [١] .

* خير متاع الدنيا :

عن ابن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« **الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا ، المرأة الصالحة** » [٢] .

الحديث : « فيه إيماء إلى أنها – أى المرأة الصالحة – أطيب الحلال فى الدنيا ، أى لأنه سبحانه زين الدنيا بسبعة أشياء ذكرها بقوله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ ، وتلك السبعة هى ملاذها وغاية آمال طلابها ، وأعمها زينة وأعظمها شهوة : النساء ؛ لأنها تحفظ زوجها عن الحرام ، وتعينه على القيام بالأمور الدنيوية والدينية ، وكل لذة أعانت على لذات الآخرة فهى محبوبة مرضية لله ، فصاحبها يلتذ بها من جهة تنعمه وقرة عينه بها ، ومن جهة إيصالها له إلى مرضاة ربه ، وإيصاله إلى لذة أكمل منها .

قال الطيبى : وقيد بالصالحة إيذاناً بأنها شر المتاع لو لم تكن صالحة .

وقال الأكمل : المراد بالصالحة : التقية المصلحة لحال زوجها فى بيته ، المطيعة لأمره [٣] .

---

(١) « تفسير القرطبى » (١٠ / ٤١٣ ، ٤١٤) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم فى كتاب « الرضاع » باب « متاع الدنيا » .

(٣) « فيض القدير » (٣ / ٥٤٨ ، ٥٤٩) .

* ما يُعين على أمر الدنيا والآخرة :

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **قلب شاكر ولسان ذاكر وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك : خير ما اكتنز الناس** » [1] .

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **ليتخذ أحدكم : قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة ، تعينه على أمر الآخرة** » [2] .

« فإن هذه الثلاثة جامعة لجميع المطالب الدنيوية والأخروية وتعين عليها وإنما كان كذلك :

لأن الشكر : يستوجب المزيد .

والذكر : منشور الولاية .

والزوجة الصالحة : تحفظ على الإنسان دينه ودنياه وتعينه عليهما » [3] .

وعن سليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **ليكف الرجل منكم كزاد الراكب** » [4] .

« يعني : ليكفك من الدنيا ما يبلغك إلى الآخرة ، فالمؤمن يتزود منها ، والفاجر يستمتع فيها ، والأصل أن من امتلأ قلبه بالإيمان استغنى عن كثير من مؤن دنياه ، واحتمل المشاق في تكثير مؤمن أخراه .

وفيه تنبيه على أن الإنسان مسافر لا قرار له ، فيحمل ما يبلغه المنزلة بين

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه البيهقي في « الشعب » وانظر « صحيح الجامع » (٤٢٨٥) .
(٢) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه ، وانظر « صحيح الجامع » (٥٢٣١) .
(٣) « فيض القدير » (٤ / ٥٢٥) .
(٤) **حديث صحيح** : أخرجه ابن ماجه ، وابن حبان ، وانظر « صحيح الجامع » (٥٣٤١) .

يديه مرحلة مرحلة ، ويقتصر عليه .

كان بعض العارفين إذا انقضى فصل الشتاء أو الصيف يتصرف فى الثياب الذى يلبسها فى ذلك الفصل ولا يدخرها إلى الفصل الآخر » [1] .

*** وكان بعض السلف يقول :**

« كل الدنيا فضول إلا خمس خصال : خبز يُشبعه ، وماء يرويه ، وثوب يستره ، وبيت يُكنّه ، وعلم يستعمله » [2] .

*** وقال سفيان بن عيينة :**

« ليس من حب الدنيا طلبك منها ما لابد منه » [3] .

*** موعظة :**

« قال جابر بن عبد الله الأنصارى : خرجت مع عليّ كرم الله وجهه إلى خارج المدينة ، فتفكرت فى أحوال الدنيا وغرورها وفتنها لنا ، فقال : يا جابر إن الدنيا أحقر من أن يفتتن بها لبيب ، يا جابر إن لذاتها فى ستة أشياء :

مأكول ، ومشروب ، وملبوس ، ومنكوح ، ومشموم ، ومسموع .

فأما المأكول : فألين ما يؤكل من العسل ، وهو رجيع ذبابة .

وأما المشروب : فألذ ما يشرب الماء ، وقد تساوى فيه جميع الحيوانات .

وأما الملبوس : فأفخر ما يُلبس الحرير ، ومخرجه من دودة .

---

(١) « فيض القدير » (٥ / ٣٩٤) باختصار يسير .
(٢) « الزهد الكبير » (١٤٢ ، ١٤٣) .
(٣) « الحلية » (٧ / ٢٧٣) .

وأما المنكــوح : فمَبَالٌ فى مبالٍ .

وأما المشمــوم : فأطيبه المسك ، وهو دم دابة .

وأما المسمــوع : فألذ ما يُسمع الوتر ، وهو إثم كله »[1] .

(١) « المواعظ والمجالس » لابن الجوزى ، تحقيق محمد إبراهيم سنبل (٤٤ ، ٤٥) ، دار الصحابة للتراث بطنطا .

٦ - علم الدنيا وعلم الآخرة

اعلم رحمك الله تعالى :

أن علم الدنيا « هو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره ويستدل عليه بجنسه ونوعه ، كعلم الطب والهندسة » [(١)] .

« قال أبو إسحاق الحوفى : العلوم ثلاثة : علم دنياوى ، وأخروى ، وعلم لا للدنيا ولا للآخرة .

فالعلم الذى للدنيا : علم الطب والنجوم ، وما أشبه ذلك .

والعلم الذى للدنيا والآخرة : علم القرآن والسُّنن ، والفقه فيهما .

والعلم الذى ليس للدنيا ولا للآخرة : علم الشعر والشغل به » [(٢)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – :

« والعلم ما قام عليه الدليل

والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ وقد يكون علم من غير الرسول لكن ، لكن في أمور « دنيوية » مثل : الطب، والحساب ، والفلاحة ، والتجارة » [(٣)] .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يبغض كل : جعظرىٍّ جوّاظٍ ، سخّاب فى الأسواق ، جيفة بالليل ، حمار بالنهار ، عالم**

---

(١) « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر (٢ /. ٣٧) دار الكتب العلمية – بيروت .
(٢) « جامع بيان العلم وفضله » (٢ / ٤٠) .
(٣) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية « (١٣ / ١٣٦) .

بالدنيا ، جاهل بالآخرة » [(1)] .

وعنه ، عن النبى ﷺ : « **إن الله يبغض كل عالم بالدنيا ، جاهل بالآخرة »** [(2)] .

الجعظرى : الفظ الغليظ المتكبر .

الحواظ : الجموع المنوع .

السخاب : كالصخاب ، كثير الضجيج والخصام .

جيفة : أى كالجيفة ، لأنه يعمل كالحمار طوال النهار لدنياه ، وينام طوال ليلة كالجيفة التى لا تتحرك ... .

قال الشيخ الألبانى رحمه الله تعالى :

« قلت : وما أشد انطباق هذا الحديث على هؤلاء الكفار الذين لا يهتمون لآخرتهم ، مع علمهم بأمور دنياهم ، كما قال تعالى فيهم : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾ [الروم : ٧] .

ولبعض المسلمين نصيب كبير من هذا الوصف ، الذين يقضون نهارهم فى التجول فى الأسواق والصياح فيها ، ويضيعون عليهم الفرائض والصلوات ، ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) ﴾ [الماعون : ٤ - ٧] [(3)] .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه البيهقى فى « السنن » وانظر « صحيح الجامع » (١٨٧٤) ، و« السلسلة الصحيحة » (١٩٥) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه الحاكم فى « تاريخه » وانظر « صحيح الجامع » (١٨٧٥) .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة « ١/٣٣٢ » .

قال الزرنوجى رحمه الله تعالى :

« وأما تعلم علم الطب فيجوز ؛ لأنه سبب من الأسباب ، فيجوز تعلمه كسائر الأسباب ، وقد تداوى النبى ﷺ » .

وحُكى عن الشافعى رحمه الله أنه قال :

« العلم علمان : علم الفقه للأديان ، وعلم الطب للأبدان ، وما وراء ذلك بلغة مجلس » [(١)] .

*** ومما ينبغى أن يُعلم :**

أن هذا الذم فى حق المسلمين ليس على إطلاقه ، بمعنى أنه إذا كان المسلم ممن يشتغل فى علم من العلوم الدنيوية المعروفة كالطب والحساب والهندسة وهو غير ملتفت لآخرته ، فإن الذم يلحقه ، وإلا فلا .

*** وينبغى أن يُعلم أيضاً :**

أن هذه الأحاديث لا تعارض ما رواه مسلم : عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ مر بقوم يلقحون ، فقال : « **لو لم تفعلوا لصلح** » ، قال : فخرج شيصاً ، فمر بهم ، فقال : « **ما لنخلكم ؟** » قالوا : قلت كذا وكذا ، قال : « **أنتم أعلم بأمر دنياكم** » [(٢)] .

فإن المخاطبين بهذا الوصف « **أنتم أعلم بأمر دنياكم** » إنما هم أرادوا الله تعالى والدار الآخرة وعملوا لها ، وعلمهم بأمور دنياهم لم يكن لذاته ، وإنما لما يتحقق به المعاش فى هذه الحياة الدنيا .

---

(١) « تعليم المتعلم فى طريق التعلم » للزرنوجى / تحقيق صلاح محمد الخيمى ، ونذير حمدان (٣٣) دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم فى كتاب « الفضائل » ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً ... » .

٧ - أهل الدنيا وأهل الآخرة

اعلم رحمك الله تعالى :

إن أهل الدنيا : هم الذين تلبسوا بها ، واغتروا بمتاعها وزينتها ، فنسبوا إليها ...

قال الله تعالى :

﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ [البقرة : ٢٠٠] .

« كانت العرب فى الجاهلية تدعوا فى مصالح الدنيا فقط ، فكانوا يسألون الإبل ، والغنم والظفر بالعدو ، ولا يطلبون الآخرة ، إذ كانوا لا يعرفونها ولا يؤمنون بها ، فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بأمر الدنيا ، وجاء النهى فى صيغة الخبر عنهم ، ويجوز أن يتناول هـذا الوعيد المؤمن أيضاً إذا قصر دعواته فى الدنيا ، وعلى هذا فـ ﴿ وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ أى كخلاق الذى يسأل الآخرة ، والخلاق : النصيب » (١) .

وأهل الآخرة : هم الذين آثروا الدار الآخرة على الحياة الدنيا .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

أى من الناس ، وهم المسلمون يطلبون خير الدنيا والآخرة .

---

(١) تفسير القرطبى (٢ / ٤٣٢) .

قال قتادة : حسنة الدنيا : العافية فى الصحة ، وكفاف المال .

وقال الحسن : حسنة الدنيا : العلم والعبادة ، وقيل غير هذا .

والذى عليه أكثر أهل العلم ، أن المراد بالحسنتين : نِعَم الدنيا والآخرة .

وهذا هو الصحيح ؛ فإن اللفظ يقتضى هذا كله ؛ فإن « حسنة » نكرة فى سياق الدعاء ، فهو محتمل لكل حسنة من الحسنات على البدل .

وحسنة الآخرة : الجنة بإجماع .

وقيل : لم يرد حسنة واحدة ، بل أراد : أعطنا فى الدنيا عطية حسنة .

هذه الآية من جوامع الدعاء التى عمت الدنيا والآخرة ، قيل لأنس : ادع الله لنا ، فقال : اللهم آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، قالوا : زدنا ، قال : ما تريدون ؟ قد سألت الدنيا والآخرة » [1] .

* وقال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥) ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ..

* وقال تعالى :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤) ﴾ [النساء : ١٣٤] .

---

(١) « تفسير القرطبى » (٢ / ٤٣٢ ، ٤٣٣) باختصار .

* وقال تعالى :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) ﴾ [هود : ١٥] .

« أى من عمل بما افترضه الله عليه طلباً للآخرة أتاه الله ذلك فى الآخرة ، ومن عمل طلباً للدنيا أتاه بما كتب له فى الدنيا وليس له فى الآخرة من ثواب ؛ لأنه عمل لغير الله ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى : ٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ ﴾ [هود : ١٦] .

وعلى هذا يكون المراد بالآية : المنافقون والكفار .

وروى أن المشركين كانوا لا يؤمنون بالقيامة ، وإنما يتقربون إلى الله تعالى ليوسع عليهم فى الدنيا ويرفع عنهم مكروهاً ، فأنزل الله عز وجل :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤) ﴾ [النساء : ١٣٤] .

أى يسمع ما يقولونه ، ويبصر ما يسرونه » [(١)] .

---

(١) « تفسير القرطبى » (٥ / ٤١٠) .

اليأس من الدنيا

[لأبي العتاهية] (*)

قَطَعْتُ منْك حَبائل الآمال ، وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهرِ المَطِي رِحالى

ويئستُ أنْ أبقَى لشيءٍ نلتُ ممّا فيك ، يا دُنيا ، وأَنْ يَبقَى لى

فوَجَدْتُ بَرْدَ اليأس بين جوانحي ، وأرحْتُ مِنْ حلَى وَمِنْ تَرْحالى

ولَئن يئسْتُ ، لَرُبَّ برقة خُلّبِ ، برقَتْ لذى طَمَع ، وبرقة آلِ

ما كانَ أشأمَ ، إذْ رَجاؤك قاتلى ، وبنَاتُ وَعْدك يعْتَلجن ببَالى

فالآن ، يادُنيا ، عَرفتُك فاذهبى ، يا دار كُلِّ تشَتَتٍ وزَوَالِ

والآن صارَ لى الزّمانُ مؤدّباً ، فَغَداً عليّ وَرَاحَ بالأمْثَالِ

والآن أبصرْتُ السبيلَ إلى الهُدَى ، وتفَرّغَتْ همتى عَنِ الأشغالِ

وَلَقَدْ أقامَ لىَ المَشيبُ نعاتَهُ ، يُفضى إلىّ بمَفْرِقٍ وقَذالِ (١)

وَلَقَدْ رأيتُ المَوْتُ يبرقُ سَيْفَهُ بيَد المَنِّية : حَيثُ كنتُ ، حيالى

وَلقد رأيتُ عُرَى الحياة تخرّمَتْ ، وَلَقَدْ تصَدّى الوَارثُونَ لَمالى (٢)

(*) أبو العتاهية :

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العينى العنزى « من قبيلة عنزة » بالولاء أبو إسحاق الشهير بأبى العتاهية ولد بعين تمر ونشأ بالكوفة ثم سكن بغداد وتوفى بها فى جمادى الآخرة – ترجم له الذهبى فى سير النبلاء جزء (١٠ : ١٩٥) والطبرى فى الأمم الملوك (١٠ : ٢٧٨) والمسعودى فى مروج الذهب (٣ : ٣٢٧) والأصفهانى فى الأغانى والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد جزء (٦ : ٢٥٠)، وابن خلكان فى وفيات الأعيان جزء (١ : ٢١٩: ٢٢٦) وابن حجر فى لسان الميزان جزء (١: ٤٢٦ : ٤٢٩) وابن كثير فى البداية والنهاية (١٠ : ٢٦٥ : ٢٦٦) .

(١) القذال : مؤخر الرأس .

(٢) تخرمت : تقطعت .

وَلَقَـــدْ رأَيْتُ على الفَنَاءِ أدلَّةً ، فـيـمـا تَنَكَّرَ مِنْ تَصَرُّفِ حِالي
وَإذا اعتَبَرتُ رأَيتُ خَطبَ حوادثٍ يَجـــرينَ بالأَرْزاقِ ، وَالآجـــالِ
وإذا تَنَاسبتِ الرِّجالُ ، فـمـا أَرَى نسَبـاً يُقـاسُ بصـالحِ الأعْـمـالِ
وَإذا بحَـثْتُ عَنِ التّـقـيّ وَجَـدْتُهُ رَجُـلاً ، يُصَـدِّقُ قَـوْلَهُ بفـعَـالِ
وَإذا اتّقَى اللهَ امْـرُؤٌ ، وأَطاعَـهُ ، فَـيَـداهُ بَينَ مَكارِمٍ ومَـعَـالِ
وَعلى التّقيّ ، إذا تَرَسّخَ في التّقَى، تاجـان : تاجُ سَكينَةٍ ، وَجَـلالِ
وَاللّيْلُ يَذْهَبُ وَالنّهـارُ ، تَعـاوُراً بالخلْقِ في الإدْبارِ ، وَالإقـبـالِ(1)
وبحَـسْبِ مَنْ تنعَى إلَيـهِ نفْـسُـهُ مِنْهُ بأيّامٍ خَلَتْ ، ولَيَـــالِ
إضرِبْ بطَرْفكَ حيثُ شئتَ، فأنت في عـــبَـــرٍ لَهُنّ تَدارُكٌ ، وتَوالِ
يَبكي الجَديدُ وأنتَ في تجديده ، وجَميعُ ما جَدّدْتَ منه ، فبَالِ
يا أيّهـا البَطِرُ الذي هوَ في غَـدٍ ، في قـبـرِهِ ، مُـتَـفَـرّقُ الأوْصِـالِ
حَذَفَ المُنى عَنهُ المُشَمِّرُ في الهُدى ، وأَرَى مُـنَـاكَ طَـويـلَـةَ الأزيـالِ
وَلَقَلّ مـاتَلْقَى أغَـرّ لنَفْـسِـهِ مِنْ لاعبٍ مَرِحٍ بهـا ، مُـخـتـالِ
يا تاجِـرَ الغَيّ المُضِـرِّ برُشْـدِهِ ، حـتى مـتى بالغَيّ أنْتَ تُغـالي
الحَـمْـدُ للهِ الحَـمـيـدِ بمنّه خَـسِـرَتْ ، وَلَم تربَحْ يَدُ البَطّالِ
للهِ يَوْمٌ تَقْـشَـعِـرّ جلُودهُمْ ، وَتَشِـيـبُ مِنْهُ ذَوائبُ الأطْـفـالِ
يَوْمُ النّوازِلِ والزّلازِلِ وَالحَـــوا مِلِ فيـهِ ، إذْ يَقـذِفْنَ بالأحْـمـالِ

(1) تعاوراً : مناوبة .

يَوْمُ التَّغابُنِ، والتَّبايُنِ والتنا — زُلِ، والأُمورِ عَظيمَةِ الأهْوالِ[1]

يَوْمٌ يُنادَى فيهِ كُلُّ مُضَلَّلٍ — بمُقَطَّعاتِ النّارِ، والأغْلالِ

للمُتَّقينَ هُناكَ نزْلُ كَرامَةٍ، — عَلَتِ الوُجوهَ بنَضْرَةٍ، وَجَمالِ

زُمَرٌ أضاءَتْ للحسابِ وُجوهُها، — فَلَهَا بَريقٌ عندَها وتَلالي

وَسَوابِقٌ غُرٌّ، مُحَجَّلَةٌ، جرَتْ — خُمْصَ البُطونِ، خَفيفَةَ الأثقالِ

مِنْ كُلِّ أشعَثَ كانَ أغبرَ ناحلاً، — خَلَقَ الرِّداءِ، مُرَقَّعَ السِّرْبالِ[2]

حِيَلُ ابنِ آدَمَ في الأُمورِ كَثيرَةٌ، — وَالمَوْتُ يَقطَعُ حيلَةَ المُحْتالِ

نَزَلُوا بأكْرَمِ سَيّدٍ، فأظَلّهُمْ — في دارِ مُلْكٍ جَلالَةٍ، وَظِلالِ

وَمِنَ النُّعاةِ إلى ابنِ آدَمَ نَفْسُهُ، — حَرَكُ الخُطى، وَطُلوعُ كلِّ هِلالِ

ما لي أرَاكَ لحُرِّ وَجْهِكَ مُخْلِقاً، — أخْلَقْتَ، يا دُنْيا، وُجوهَ رِجالِ

قِسْتَ السُّؤالَ، فكانَ أعظَمَ قيمَةً — مِنْ كُلِّ عارِفَةٍ جَرَتْ بسُؤالِ

كُنْ بالسُّؤالِ أشَدَّ عَقْدِ ضَنَانَةٍ، — مِمّنْ يَضِنّ عَلَيكَ بالأمْوالِ

وَصُنِ المَحامدَ ما استَطَعتَ، فإنّها — في الوَزْنِ تَرْجُحُ بذلَ كلِّ نَوالِ

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ المُثَمِّرِ مالَهُ، — نسِيَ المُثَمِّرُ زِينَةَ الإقْلالِ

وَإذا امرُؤٌ لَبِسَ الشّكوكَ بعَزْمِهِ، — سَلَكَ الطّريقَ على عُقودِ ضَلالِ

وَإذا ادّعَتْ خُدَعُ الحوادثِ قَسوَةً، — شَهِدَتْ لهُنّ مَصارِعُ الأبْطالِ

وَإذا ابتُليتَ ببَذْلِ وَجْهِكَ سائلاً، — فابْذُلْهُ للمُتَكَرِّمِ، المِفضالِ

وَإذا خَشيتَ تَعَذّراً في بَلْدَةٍ، — فاشْدُدْ يَدَيْكَ بعاجِلِ التّرْحالِ

وَاصْبِرْ على غِيَرِ الزّمانِ، فإنّما — فَرَجُ الشّدائِدِ مِثلُ حَلِّ عِقالِ

(١) التغابن : من تغابن القوم : خدع بعضهم بعضاً .
(٢) السربال : القميص .

* إنقسام أهل الدنيا :

قال الحافظ ابن رجب الحنبلى – رحمه الله تعالى – :

« وانقسم بنو آدم فى الدنيا إلى قسمين :

* أحدهما :

من أنكر أن يكون للعباد دار بعد الدنيا للثواب والعقاب ، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾ [يونس : ٧ ، ٨] .

وهؤلاء همهم التمتع فى الدنيا ، واغتنام لذاتها قبل الموت ، كما قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد : ١٢] .

ومن هؤلاء من كان يأمر بالزهد فى الدنيا ؛ لأنه يرى أن الاستكثار منها موجب الهم والغم ، ويقول : كلما كثر التعلق بها ، تألمت النفس بمفارقتها عند الموت ؛ فكان هذا غاية زهدهم فى الدنيا .

* والقسم الثانى :

من يقر بدار بعد الموت للثواب والعقاب ، وهم المنتسبون إلى شرائع المرسلين ، وهم منقسمون إلى ثلاثة أقسام :

أ – ظالم لنفسه .

ب – مقتصد .

جـ - وسابق بالخيرات بإذن الله [(١)] .

[أ] **الظالم لنفسه :**

والظالم لنفسه : هم الأكثرون منهم ، وأكثرهم واقف مع زهرة الدنيا وزينتها ، فأخذها من غير وجهها ، واستعملها في غير وجهها ، وصارت الدنيا أكبر همه ، بها يرضى ، وبها يغضب ، ولها يوالى ، وعليها يعادى .

وهؤلاء هم أهل اللهو واللعب ، والزينة والتفاخر والتكاثر ، وكلهم لم يعرف المقصود من الدنيا ، ولا أنها منزلة سفر ، يتزود منها لما بعدها من دار الإقامة ، وإن كان أحدهم يؤمن بذلك إيماناً مجملاً ، فهو لا يعرفه مفصلاً ، ولا ذاق ما ذاقه أهل المعرفة بالله فى الدنيا ، مما هو أنموذج ما ادُّخر له فى الآخرة .

[ب] **المقتصد :**

والمقتصد منهم : أخذ الدنيا من وجوهها المباحة ، وأدى واجباتها ، وأمسك لنفسه الزائد على الواجب يتوسع به فى التمتع بشهوات الدنيا .

وهؤلاء قد اختُلف فى دخولهم فى اسم الزهاد فى الدنيا ، ولا عقاب عليهم فى ذلك ؛ إلا أنه ينقص من درجاتهم فى الآخرة بقدر توسعهم فى الدنيا .

قال ابن عمر : لا يصيب عبد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله ، وإن كان كريماً عليه ... .

(١) يشير بذلك إلى قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر : ٣٢] .

[جـ] السابق بالخيرات بإذن الله :

وأما السابق بالخيرات بإذن الله : فهم الذين فهموا المراد من الدنيا ، وعملوا بمقتضى ذلك ، فعلموا أن الله إنما أسكن عباده فى هذه الدار ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [هود : ٧] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك : ٢] .

وقال بعض السلف : « أيهم أزهد فى الدنيا ، وأرغب فى الآخرة » .

وجعل ما فى الدنيا من البهجة والنضرة محنة ، لينظر من يقف منهم معه ويركن إليه ، ومن ليس كذلك ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) ﴾ [الكهف : ٧] .

ثم بين انقطاعه وإنفاذه ، فقال : ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) ﴾ [الكهف : ٨] .

فلما فهموا أن هذا هو المقصود من الدنيا ، جعلوا همهم التزود منها للآخرة ، التى هى دار القرار ، فاكتفوا من الدنيا بما يكتفى به المسافر فى سفره ، كما كان النبى ﷺ يقول : « **ما لى وللدنيا ، إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب قال فى ظل شجرة** [١] **، ثم راح عنها وتركها** » [٢] .

ووصى صلى الله عليه وعلى آله وسلم جماعة من الصحابة أن يكون بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد راكب » [٣] .

---

(١) قال فى ظل شجرة : يعنى نام بعد الظهر فى ظل شجرة . من القيلولة .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » «٥٥٤٤» و«السلسلة الصحيحة » « ٤٣٨ » .

(٣) « جامع العلوم والحكم » للحافظ ابن رجب الحنبلى فى شرحه الحديث « ٣١ » .

عقوبة أهل الدنيا

توعد الله تعالى أهل الدنيا الذين آثروها على الدار الآخرة ، ورضوا واطمأنوا بها ... .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾ [يونس : ٧ ، ٨] .

« يقول تعالى مخبراً عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ، ولا يرجون فى لقائه شيئاً ، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها نفوسهم .

قال الحسن : والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها ، وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها ، والشرعية فلا يأتمرون بها . فإن مأواهم يوم معادهم النار ، جزاء على ما كانوا يكسبون فى دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام مع ماهم فيه من الكفر بالله ورسله واليوم الآخر » (١) .

وقال تعالى :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠) ﴾ [الشورى : ٢٠] .

« أى من طلب بما رزقناه حرثاً لآخرته ، فأدى حقوق الله ، وأنفق فى إعزاز الدين ، فإنما نعطيه ثواب ذلك للواحد عشراً إلى سبعمائة فأكثر .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٣٥١) .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ ﴾ :

أى طلب بالمال الذى آتاه الله رياسة الدنيا والتوصل إلى المحظورات ، فإنا لا نحرمه الرزق أصلاً ، ولكن لا حظ له فى الآخرة أصلاً ... .

قال القشيرى : والظاهر أن الآية فى الكافر ، يوسع له فى الدنيا ، أى لا ينبغى له أن يغتر بذلك ؛ لأن الدنيا لا تبقى » (1) .

وقال تعالى :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (19) ﴾ [الإسراء : ١٨ ، ١٩] .

« يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له ، بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء ، وهذه مُقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات ؟ ، فإنه قال :

﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ ﴾ : أى فى الآخرة.

﴿ يَصْلاهَا ﴾ : أى يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه .

﴿ مَذْمُومًا ﴾ : أى فى حال كونه مذموماً على سوء تصرفه وصنيعه ، إذا اختار الفانى على الباقى .

﴿ مَّدْحُورًا ﴾ : مبعداً مقصياً حقيراً ذليلاً مهاناً ... .

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ ﴾ : أى أراد الدار الآخرة وما فيها من

---

(١) « تفسير القرطبى » (١٦ / ١٨) .

النعيم والسرور .

﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ : أى طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ .

﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ : أى قلبه مؤمن ، أى مصدق موقن بالثواب والجزاء ﴿ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [1] .

وقال تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٧ ، ٣٩] .

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ : أى تمرد وعتى .

﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ : أى قدمها على أمر دينه وأخراه .

﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ : أى فإن مصيره إلى الجحيم ، وإن مطعمه من الزقوم ، ومشربه من الحميم » [2] .

وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : « **إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه ، فإنما ذلك منه استدراج** » [3] .

« أى أُخذ بتدريج واستنزال من درجة إلى أخرى ، فكل فعل معصية قابلها بنعمه وأنساه الاستغفار ، فيدنيه من العذاب قليلاً قليلاً ، ثم يصبه عليه صباً .

قال إمام الحرمين : إذا سمعت بحال الكفار وخلودهم فى النار ، فلا تأمن

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٣١/٣ ، ٣٢) .
(٢) « تفسر ابن كثير » (٤ / ٤١٠) .
(٣) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد فى « المسند » والطبرانى فى « الكبير » والبيهقى فى « الشعب » ، وانظر « صحيح الجامع » (٥٧٥) .

على نفسك ؛ فإن الأمر على خطر ، فلا تدرى ماذا يكون وما سبق لك فى الغيب ، ولا تغتر بصفاء الأوقات ؛ فإن تحتها غوامض الآفات ... .

والاستدراج : الأخذ بالتدريج لا مباغتة .

والمراد هنا : تقريب الله العبد إلى العقوبة شيئاً فشيئاً .

واستدراجه تعالى للعبد : أنه كلما جدد ذنباً ، جدد له نعمة ، وأنساه الاستغفار ، فيزداد أشراً وبطراً ، فيندرج فى المعاصى بسبب تواتر النعم عليه ؛ ظاناً أن تواترها تقريب من الله ، وإنما هو خذلان وتبعيد » [1] .

وعن أنس رضى الله تعالى عنه ، أن النبى ﷺ قال : « **من كانت الآخرة همه : جعل الله غناه فى قلبه ، وجمع شمله ، وأتته الدنيا وهى راغمة ، ومن كانت الدنيا همه : جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له** » [2] .

وهذا الحديث أبلغ فى زجر من جعل الدنيا همه ونيته ، إذ لا يناله منها إلا ما كتبه الله تعالى لـه ، مع ما يجازيـه به الله تعالى من تفريق شمله ، ولزوم الفقر له .

موعظـة :

قال عليّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه :

« ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخـرة مقبلـة ، ولكل واحد منهـما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن اليوم عمل ولا

---

(١) « فيض القدير » (١/٣٥٥) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذى، وانظر « صحيح الجامع » (٦٣٨٦) ، و« السلسلة الصحيحة » (٩٤٩) .

حساب ، وغداً حساب ولا عمل » [1] .

وقال الحسن :

« إذا رأيت الناس يتنافسون فى الدنيا فنافسهم فى الآخرة ؛ فإنها تذهب دنياهم وتبقى الآخرة » [2] .

الآخرة أقرب من الدنيا :

قال محمد بن الحسين : حدَّثنى فُضيل بن عبد الوهاب قال :

سمعت أُختى يوماً تقول :

الآخرة أقرب من الدنيا ، وذلك أن الرجل يهمُّ بطلب الدنيا فلعلَّه أن ينشئ لذلك سفراً يكون فيه تعبُ بدنه وإنفاقُ ماله ثمَّ لعله أن لا ينال بُغيته .

والرجل يطلب الآخرة ، فمنتهى طلبته فى حُسن نيته حيث ما كان ؛ من غير أن ينشئ سفراً أو ينفق مالاً أو يُتعِب بدناً ، ما هو إلا أن يُجمع على طاعة الله ، فإذا هو قد أدرك ما عند الله .

قال : وسمعتها تقول :

ما بيننا وبين أن نرى السرور أو ننادى بالويل والثبور إلا خروج هذه الأرواح من الأبدان ، فانظروا أىَّ عبيدٍ تكونون حينئذ ؟ .

قال : ثم صرخت وغُشىَ عليها [3] .

---

(١) أخرجه البخارى معلقاً فى « كتاب الرقائق » « باب فى الأمل وطوله » .

(٢) « الزهد » لأحمد (٣٩٩) .

(٣) صفة الصفوة « ١٨٩/٢ – ١٩٠ » .

يا جامع المال لوارثه
لأبي العتاهية

أمّا بيوتكَ ، في الدّنيا ، فواسعةٌ ،   فلَيْتَ قَبرَكَ بَعدَ المَوْت يَتّسعُ

ولَيتَ ما جَمَعَتْ كفّاكَ من نَشَبٍ   يُنجيكَ منْ هَوْلِ ما أنتَ مُطّلعُ

أيَفْرَحُ النّاسُ بالدّنْيا ، وقد علموا   أنّ المَنازِلَ ، في لذّاتنا ، قُلَعُ

مَنْ كانَ مُغْتَبطاً فيها بمَنزلَة ،   فإنّهُ لسواها سَوْفَ يَنْتَجعُ

وكُلُّ ناصرِ دُنْيا سَوْفَ تَخْذُلُهُ ،   وكلُّ حَبْلٍ عَلَيها سَوْفَ يَنقَطِعُ

مالي أرَى النّاسَ لا تَسلُو ضَغائنُهُمْ   وَلا قُلُوبُهُمُ في الله تَجْتَمعُ

إذا رأيتَ لهمْ جَمْعاً تُسَرُّ بهِ ،   فإنّهُمْ حينَ تَبلُو شأنهُمْ شِيَعُ

يا جامعَ المالِ، في الدّنْيا ، لوارثِهِ ،   هلْ أنتَ بالمال ، بعد الموْت تَنتَفعُ

لا تُمسكِ المالَ ، وَاسترْضِ الإلَهَ بهِ،   فإنّ حَسْبَكَ مِنْهُ الرّيُّ والشّبَعُ

٨ - التحذير من الافتتان بالدنيا

لقد أخبر النبى ﷺ أن الدنيا ستفتح على الناس .

فعن أبى الدرداء ، رضى الله تعالى عنه ، قال :

خرج علينا رسول الله ﷺ ، ونحن نذكر الفقر ونتخوفه ، فقال :

« آ الفقر تخافون ؟ والذى نفسى بيده لتصبن عليكم الدنيا صباً ، حتى لا يُزيغ قلب أحدكم إن إزاغة إلا هى ، وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها ونهارها سواء » (١) .

* وعن أبى جحيفة رضى الله تعالى عنه ، أن النبى ﷺ قال :

« ستفتح عليكم الدنيا حتى تنجدوا بيوتكم كما تنجد الكعبة ، فأنتم اليوم خير من حينئذ » (٢) .

إخباره هذا من معجزاته ﷺ ؛ فقد أخبر ﷺ بأن الدنيا ستفتح على الناس من بعده ، وهذا من صدق نبوته ﷺ ، فقد فُتحت الدنيا على الناس حتى أنهم لم يجدوا لأموالهم مصارف إلا فى تزيين بيوتهم وما إلى ذلك .

---

(١) **حديث حسن** : أخرجه ابن ماجه ، وانظر « صحيح الجامع » (٩) و « السلسلة الصحيحة » ، (٦٨٨) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه الطبرانى فى « الكبير » ، وانظر « صحيح الجامع » (٣٦٠٨) و« السلسلة الصحيحة » (١٨٨٣) .

تحذير الله تعالى من الدنيا :

ولقد حذر الله تبارك وتعالى من الافتتان بالدنيا والاغترار بها ... .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) ﴾ [لقمان : ٣٣] .

« يقول تعالى منذراً للناس يوم المعاد ، وآمر لهم بتقواه والخوف منه ، والخشية من يوم القيامة ، حيث ﴿ لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ ﴾ أى لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه ، وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يُقبل منه .

ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله :

﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ أى لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة .

﴿ وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ يعنى الشيطان » [1] .

« وهو الذى يغر الخلق ويمنيهم الدنيا ، ويلهيهم عن الآخرة » [2] .

* وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) ﴾ [فاطر : ٥] .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٣ / ٣٨٨) .
(٢) « تفسير القرطبى » (١٤ / ٨١) .

« هذا وعظ للمكذبين للرسول بعد إيضاح الدليل على صحة قوله : إن البعث والثواب والعقاب حق .

﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ .

قال سعيد بن جبير : غرور الحياة الدنيا : أن يشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة » [1] .

تحذير النبي ﷺ من الدنيا :

* عن مصعب بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « **احذروا الدنيا ؛ فإنها خضرة حلوة** » [2] .

قوله ﷺ : « **احذرو الدنيا** » : أى الاسترسال فى شهواتها ، والإكباب على ملاذها ، واقتصروا منها على الكفاف .

« **فإنها خضرة** » :

أى حسنة المنظر ، مزينة فى العيون ، آخذة بمجامع القلوب .

« **حلوة** » :

أى حلوة المذاق ، صعبة الفراق .

قال فى « المطامح » :

فيه استعارة مجازية ومعجزة نبوية ؛ فخضرتها عبارة عن زهرتها وحسنها ، وحلاوتها كناية عن كونها محببة للنفوس مزينة للناظرين ، وهو إخبار عن

---

(١) « تفسير القرطبى » (١٤ / ٣٢٢) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد فى « الزهد » ، وانظر « صحيح الجامع » (١٩٠) و « السلسلة الصحيحة » (٩١٠) .

غيب واقع .

فإن قلت : إخباره عنها بخضرتها وحلاوتها يناقضه إخباره فى عدة أخبار بقذارتها ، وأن الله جعل البول والغائط مثلاً لها ؟ .

قلت : لا منافاة ؛ فإنها جيفة قذرة فى مرأى البصائر ، وحلوة خضرة فى مرأى الأبصار ، فذكر ثَمَّ أنها جيفة قذرة للتنفير ، وهنا كونها حلوة خضرة للتحذير ، فكأنه قال : لا تغرنكم بحلاوتها وخضرتها ؛ فإن حلاوتها فى الحقيقة مرارة ، وخضرتها يبس .

فالله در كلام المصطفى ﷺ ما أبدعه » [1] .

* وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال :

« **لا تتخذوا الضيعة ، فترغبوا فى الدنيا** » [2] .

« يعنى لا يتخذ الضياع من خاف على نفسه التوغل فى الدنيا فيلهو عن ذكر الله ، فمن لم يخف ذلك لكونه يثق من نفسه بالقيام بالواجب عليه فيها فله الاتخاذ » [3] .

* وعن أبى حميد الساعدى ، رضى الله تعالى عنه ، أن النبى ﷺ قال :

« **أجملوا فى طلب الدنيا ؛ فإن كلاً ميسر لما كُتب له** » [4] .

« أى اطلبوا الرزق طلباً جميلاً ، بأن ترفقوا ، أى تحسنوا السعى فى

---

(١) « فيض القدير » (١ / ١٨٨) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد ، والترمذى ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (٧٠٩١) و« السلسلة الصحيحة » (١٢) .

(٣) « فيض القدير » (٦ / ٣٨٧) .

(٤) **حديث صحيح** : أخرجه ابن ماجه فى « سننه » والحاكم فى « المستدرك » والطبرانى فى « الكبير » والبيهقى فى « السنن » وانظر « صحيح الجامع » (١٥٥) و« السلسلة الصحيحة » (٨٩٨) .

نصيبكم منها ، بلا كد وتعب وتكالب وإشفاق ... .

ومن إجماله : اعتماد الجهة التى هيأها الله ويسرها له ويسره لها فيقنع بها ولا يتعداها .

ومنه : أن لا يطلب بحرص وقلق وشره ووله ، حتى لا ينسى ذكر ربه ولا يتورط فى شبهه ، فيدخل فيما أثنى الله تعالى عليهم بقوله تعالى :

﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [النور - ٣٧] .

ثم بين ﷺ وجه الأمر بذلك بقوله : « **فإن كلاً ميسر لما كُتب له** » : يعنى الرزق المقدر له سيأتيه ... .

والمرء يُرزق لا من حيث حيلته ، ويُصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى » (١) .

* وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال : « **كن فى الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل** » .

وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء . وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » (٢) .

« قال الطيبى : ليست « أو » للشك ، بل للتخيير والإباحة ، والأحسن أن تكون بمعنى بل .

فشبه الناسك السالك بالغريب الذى ليس له مسكن يأويه ولا مسكن

---

(١) « فيض القدير » (١ / ١٦٢) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى فى « كتاب الرقاق » « باب قول النبى ﷺ : كن فى الدنيا كأنك غريب ... » .

يسكنه ، ثم ترقى وأضرب عنه إلى « عابر سبيل » لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مروية ، ومفاوز مهلكة ، وقطاع طريق ، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يسكن لمحة ، ومن ثم عقبه بقوله : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ...إلخ » ... .

والمعنى : استمر سائراً ولا تفتر ؛ فإنك إن قصرت انقطعت وهلكت في تلك الأودية . وهذا معنى المشبه به ، وأما المشبه فهو قوله : « وخذ من صحتك لمرضك » أى أن العمر لا يخلو عن صحة ومرض ، فإن كنت صحيحاً فسر سير القصد وزد عليه بقدر قوتك ما دامت فيك قوة ، بحيث يكون ما بك من تلك الزيادة قائماً مقام ما لعله يفوت حاله المرض والضعف .

وقال ابن بطال :

لما كان الغريب قليل الانبساط إلى الناس ،بل هو مستوحش منهم ؛ إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه مستأنس به فهو ذليل في نفسه خائف ، وكذلك عابر السبيل لا ينفذ فى سفره إلا بقوته عليه وتخفيفه من الأثقال غير متثبت بما يمنعه من قطع سفره ، معه زاده وراحلته يبلغانه إلى بغيته من قصده ، شبه بهما .

وفى ذلك إشارة إلى إيثار الزهد فى الدنيا ، وأخذ البلغة منها والكفاف ، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره ، فكذلك لا يحتاج المؤمن فى الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل .

وقال غيره : هذا الحديث أصل فى الحث على الفراغ عن الدنيا ، والزهد فيها ، والاحتقار لها ، والقناعة فيها بالبلغة .

وقال النووى : معنى الحديث : لا تركن إلى الدنيا ، ولا تتخذها وطناً ،

ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه » [1] .

تحذير السلف من الدنيا :

* قال عبد الرحمن بن عوف :

« دخلت على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى مرضه الذى توفى فيه ، فسلمت عليه ، فقال : رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل ، وهى جائية ، وستتخذون ستور الحرير ، ونضائد الديباج ، وتألمون ضجائع الصوف الأزرى ، كأن أحدكم على حسك السعدان ، ووالله لئن يقدم أحدكم فيضرب عنقه - فى غير حد - خير له من أن يسبح فى غمرة الدنيا » [2] .

* وروى المبارك بن فضالة عن الحسن أنه كان إذا تلا هذه الآية : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ .

قال : مَن قال ذا ؟ .

قال : مَن خلقها وهو أعلم بها .

قال : وقال الحسن : إياكم وما شغل من الدنيا ؟ فإن الدنيا كثيرة الأشغال ، لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب » [3] .

* وقال أبو موسى رضى الله تعالى عنه :

« ما ينتظر من الدنيا إلا كلاً محزناً ، أو فتنة تنتظر » [4] .

---

(١) « فتح البارى » (١١/ ٢٣٤) .
(٢) « الحلية » (١ /٣٤) .
(٣) « الزهد » لابن المبارك (١٨٩) .
(٤) « الحلية » (١ / ٢٦٠) .

* **وقال عروة بن الزبير :**

« إذا رأى أحدكم شيئاً من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهله ، وليأمرهم بالصلاة ، وليصطبر عليها .

قال : قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَامَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَوةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ** ﴾ [1] . [طه - ١٣١] .

* **وقال أبو حازم سلمة بن دينار :**

« ما فى الدنيا شيئ يسرك ، إلا وقد أُلزق به شيئ يسؤك » [2] .

* **وقال أبو أحمد الزبيرى :**

« كتب بعض إخوان سفيان إلى سفيان : أن عظنى وأوجز . فكتب إليه سفيان : بسم الله الرحمن الرحيم ، عفانا الله وإياك من السوء كله ، يا أخى إن الدنيا غمها لا يفنى ، وفرحها لا يدوم ، وفكرها لا ينقضى ، اعمل لنفسك حتى تنجو ، ولا تتوان فتعطب ، والسلام » [3] .

* **وقال داود الطائى :**

« توحش من الدنيا كما تتوحش من السِّباع » [4] .

* **وقال الفضيل بن عياض :**

« حزن الدنيا يذهب بهم الآخرة ، وفرح الدنيا للدنيا يذهب بحلاوة العبادة » [5] .

---

(١) « الحلية » (١٧٩/٢) .
(٢) « الحلية » (٢٣٩/٣) .
(٣) « الحلية » (٧ / ١٩) .
(٤) « الحلية » (٧ / ٣٤٣) .
(٥) « الحلية » (٨/ ١٠٠) .

* **وقال بشر بن الحارث :**

« قل لمن طلب الدنيا تهيأ للذل » [1] .

* **وقال أبو سليمان الداراني :**

« جوع قليل ، وسهر قليل ، وبرد قليل ، يقطع عنك الدنيا » [2] .

* **وقال يحيى بن معاذ :**

« مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب .

وقال : يا ابن آدم لا يزال دينك متمزقاً ما دام القلب بحب الدنيا متعلقاً » [3] .

* **وقال سري السقطي :**

« لا تركن إلى الدنيا فينقطع من الله حبلك ، ولا تمش في الأرض مِرحاً فإنها عن قليل قبرك » [4] .

* **وقال أبو هاشم الزاهد :**

« لو أن الدنيا قصور وبساتين ، والآخرة أكواخ ، لكانت الآخرة أهلاً أن تؤثر على الدنيا ؛ لبقاء تلك ونفاد هذه » [5] .

* **وقال الفضيل بن عياض :**

« جُعل الشر كله في بيت ، وجُعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله

---

(1) « الحلية » (٨ / ٣٥٢) .
(2) « الحلية » (٩ / ٢٥٧) .
(3) « الحلية » (١٠ / ٥٢) .
(4) « الحلية » (١٠ / ١٢١) .
(5) « الحلية » (١٠ / ٢٢٥) .

فى بيت ، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا » [1] .

*** وقال أبو سليمان الدارانى :**

« إذا سكنت الدنيا فى القلب ترحلت منه الآخرة » [2]

*** وقال ابن السماك :**

« من أذاقته الدنيا حلاوتها بميله إليها ، جرعته الآخرة مرارتها بمجانبته عنها » [3] .

* « وقال رجل لأبى سهل الحارث الصوفى : أوصنى .

فقال : نم عن الدنيا وزهرتها ، تستيقظ بروح الآخرة ونعيمها » [4] .

*** وقال الكتسانى :**

« كن فى الدنيا ببدنك ، وفى الآخرة بقلبك » [5] .

*** وقال الفضيل بن عياض :**

« تفكروا واعملوا من قبل أن تندموا ، ولا تغتروا بالدنيا ، فإن صحيحها يسقم ، وجديدها يبلى ، ونعيمها يفنى ، وشبابها يهرم » [6] .

*** وقال محمد بن يوسف بن معدان :**

« لقد خاب من كان حظه من الله الدنيا .

وكان يتمثل كثيراً بهذا البيت :

إذا كنت فى دار الهـوان فإنمـا ينجيك من دار الهوان اجتنابها » [7]

---

(1) « الزهد الكبير » (١٣٣) .

(2) « الزهد الكبير » (١٣٥) .

(3) « الزهد الكبير » (١٣٧) .

(4) « الزهد الكبير » (١٤٠) .

(5) « الزهد الكبير » (١٤١) .

(6) « الزهد الكبير » (١٩٧) .

(7) « الحلية » (١٠ / ٣٩٠) .

من يريد سلعة الرحمن [1]

لإبراهيم بن العباس الصولي

لا تأْسَفَنَّ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ... فَالْمَوْتُ لاَ شَكَّ يُفْنِينَا وَيُفْنِيهَا

وَمَنْ يَكُنْ هَمُّهُ الدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَا ... فَسَوْفَ يَوْماً عَلَى رَغْمٍ يُخَلِّيهَا

لاَ تَشْبَعُ النَّفْسُ مِنْ دُنْيَا تُجَمِّعُهَا ... وَبُلْغَةٌ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِيهَا

إِعْمَلْ لِدَارِ الْبَقَا رِضْوَانُ خَازِنُهَا ... الْجَّارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمَنُ بَانِيهَا

أَرْضٌ لَهَا ذَهَبٌ وَالمِسْكُ طِينَتُهَا ... وَالزَّعْفَرَانُ حَشِيشٌ نَابِتٌ فِيهَا

أَنْهَارُهَا لَبَنٌ مَحْضٌ وَمِنْ عَسَلٍ ... وَالخَمْرُ يَجْرِي رَحِيقاً فِي مَجَارِيهَا

وَالطَّيْرُ تَجْرِي عَلَى الأَغْصَانِ عَاكِفَةً ... تُسَبِّحُ اللهَ جَهْراً فِي مَغَانِيهَا

مَنْ يَشْتَرِي قُبَّةً فِي العَدْنِ عَالِيَةً ... فِي ظِلِّ طُوبَى رَفِيعَاتٍ مَبَانِيهَا

دَلاَّلُهَا المُصْطَفَى وَاللهُ بَائِعُهَا ... وَجِبْرَئِيلُ يُنَادِي فِي نَوَاحِيهَا

مَنْ يَشْتَرِي الدَّارَ فِي الفِرْدَوْسِ يَعْمُرُهَا ... بِرَكْعَةٍ فِي ظَلاَمِ اللَّيْلِ يُخْفِيهَا

أَوْ سَدَّ جَوْعَةَ مِسْكِينٍ بِشَبْعَتِهِ ... فِي يَوْمِ مَسْغَبَةٍ عَمَّ الغَلاَ فِيهَا

النَّفْسُ تَطْمَعُ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ ... أَنَّ السَّلاَمَةَ مِنْهَا تَرْكُ مَا فِيهَا

وَاللهِ لَوْ قَنِعَتْ نَفْسِي بِمَا رُزِقَتْ ... مِنَ المَعِيشَةِ إِلاَّ كَانَ يَكْفِيهَا

وَاللهِ وَاللهِ أَيْمَانٌ مُكَرَّرَةٌ ... ثَلاَثَةٌ عَنْ يَمِينٍ بَعْدَ ثَانِيهَا

---

(١) لإبراهيم بن العباس الصولى ، أحد شعراء العصر العباسى الثانى ، انظر الطرائف الأدبية بتحقيق عبد العزيز الميمنى ، وشعراء الدعوة الإسلامية ، ترجم له المسعودى فى مروج الذهب وابن خلكان فى وفيات الأعيان جـ ١ / ٩ : ١١ ، ونزهة الجليس ٢ / ٣٦٥ .

لَوْ أنَّ في صَخْرةٍ صَمًّا مُلَمْلَمَةً ... في البَحْرِ راسيةٌ مُلْسٌ نوَاحِيْهَا
رِزْقَاً لعَبْدٍ براَهَا اللهُ لا نفلقَتْ ... حَتّى تُؤدّي إليْه كُلَّ مَا فيْهَا
أوْ كَانَ فَوْقَ طِبَاقِ السبْعِ مَسْلَكُهَا ... لَسَهَّلَ اللهُ في المَرْقَى مَراَقيْهَا
حَتّى ينَالَ الذىْ في اللوْحِ خُطَّ لَهُ ... فَإِنْ أتتْهُ وإلاَّ سَوْفَ يَأتيْهَا
أَموَالُنَا لذَويْ المِيْراَثِ نَجْمَعُهَا ... وَدَاُرنا لخرَاب البُوم نَبْنيْهَا
لادارَ للمَرْءِ بَعْدَ المَوت يَسْكُنُهَا ... إلاَّ التي كَانَ قبلَ المَوْتِ يبنيْهَا
« تَجْني الثِّمَارَ غَداً في دَارِ مَكْرُمَةٍ ... لاَ مَنَّ فيْهَا وَلاَ التَّكْديْرُ يَأْتيْهَا »
« فيْهَا نَعيْمٌ مُقيْمٌ دائماً أبَّداً ... بلاَ انْقطَاعٍ ولاَ مَنٍّ يُدَانيْهَا »
« الأُذُنُ وَالعَيْنُ لَمْ تَسْمَعْ ولَمْ تَرَهُ ... وَلَمْ يَدُرْ في قُلُوبِ الخَلْقِ مَا فيْهَا »
« فَيَا لَهَا منْ كَرَامَاتٍ إذا حَصَلَتْ ... ويَالَهَا منْ نُفُوسٍ سَوْفَ تَحْويهَا »
« وَهَذه الدَّارُ لاَ تَغْرُرْكَ زَهرَتُهَا ... فعَنْ قَريْبٍ تَرَى مُعْجبكَ ذَاويْهَا »
« فَارْبأْ بنفْسكَ لاَ يَخْدَعْكَ لاَمعُهَا ... منَ الزَّخَارفِ وَاحْذَرْ منْ دَوَاهيْهَا »
« خَدَّاعَةٌ لم تَدُمْ يَوماً عَلَى أَحَدٍ ... وَلاَ اسْتَقَرَّتْ عَلى حَالٍ لَيَاليْهَا »
« فَانْظُرْ وَفَكِّرْ فَكَمْ غَرَّتْ ذَوي طَيْشٍ ... وَكَمْ أصَابَتْ بسَهْمِ المَوْتِ أهْليْهَا »
اعْتَزَّ قَارُون في دُنْيَاهُ منْ سَفَهٍ ... وَكَان منْ خَمْرهَا يَا قَوْمُ ذَاتيْهَا
يَبيْتُ لَيْلَتَهُ سَهْرَانَ مُنْشَغلاً ... في أمْرِ أمْوَاله في الهَمّ يَفْديْهَا
وفي النَّهَارِ لَقَدْ كَانَتْ مُصيبَتُهُ ... تَحُزُّ في قَلْبه حَزّاً فَيُخْفيْهَا
فَمَنْ بَنَاهَا بخَيْرٍ طَابَ مَسْكَنُهُ ... وَمَنْ بناهَا بشَرّ خَابَ بَانيْهَا
والنَّاسُ كالْحَبِّ والدُّنْيا رَحَىً نُصِبَتْ ... للْعَالَميْنَ وَكفُّ المَوْتِ يُلْهيْهَا

فَلاَ الاقَامَةُ تُنْجِي النَّفْسَ مِنْ تَلَفٍ ... وَلاَ الفِرَارُ مِنَ الأَحْدَاث يُنجيْهَا

وكُلُّ نَفْسٍ لَهَا زور يُصَبحُهَا ... مِنَ المَنيَّة يَوْماً أَوْ يُمَسِّيْهَا

تلْكَ المَنَازِلُ في الآفَاق خَاوِيَةٌ ... أَضْحَتْ خَرَاباً وَذَاقَ المَوْتَ بَانيْهَا

أَيْنَ المُلوكُ الَّتي عَنْ حَظِّهَا غَفَلَتْ ... حَتَّى سَقَاهَا بكَأْسِ المَوْت سَاقيْهَا

أفْنَى القُرُونَ وأَفْنَى كُلَّ ذي عُمُرٍ ... كَذَلكَ المَوْتُ يُفْني كُلَّ مَا فيْهَا

فَالمَوْتُ أَحْدَقَ بالدُّنْيَا وزُخْرُفهَا ... والنَّاسُ في غَفْلَة عَنْ تَرْك مَا فيْهَا

لَوْ أَنَّهَا عَقَلَتَ مَاذَا يُرَادُ بِهَا ... مَا طَابَ عَيْشٌ لَّهَا يوماً ويُلْهيْهَا

نَلْهُوا ونَأْمَلُ آمـلاً نُسَرُّ بِهَا ... شَرِيْعَةُ المَوْتِ تَطْوِينا وَتَطْوِيْهَا

فاغرس أصول التقى ما دمت مقتدراً ... واعلم بأنك بعد الموتِ لاقيها

موعظة

قال موهب بن عبد الله :

« لما استخلف عمر بن عبد العزيز ، كتب إليه الحسن البصرى كتاباً ، بدأ فيه بنفسه ، أما بعد :

فإن الدنيا دار مخيفة ، إنما أُهبط آدم من الجنة إليها عقوبة ، واعلم أن صرعتها ليست كالصرعة ، من أكرمها يهن ، ولها فى كل حين قتيل ، فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه يصبر على شدة الدواء ، خيفة طول البلاء . والسلام » [(١)] .

« **فانظر يا أخى :**

حال الدنيا كيف يحول .

ونعيمها كيف يذهب ويزول .

والمسعود من رأى عيبها وفر منها .

والمصائب فى الدنيا أعداد :

فواحد يصاب فى الأموال والأولاد .

وآخر يعرى من الإسلام بالطرد والإبعاد » [(٢)] .

نسأل الله تعالى السلامة من الدنيا ، ونعوذ به تعالى من الاغترار بها .

---

(١) « الحلية » (٢ / ١٤٨) .

(٢) « بحر الدموع » لابن الجوزى / (٩٧) ، دار الصحابة للتراث بطنطا .

الخاتمة

قال الله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) ﴾ [النحل : ٣٠] .

« أى من أحسن عمله فى الدنيا أحسن الله إليه عمله فى الآخرة والدنيا .

ثم أخبر بأن دار الآخرة خير ، أى من الحياة الدنيا ، والجزاء فيها أتم من الجزاء فى الدنيا »[1] .

يا أخى :

« إياك والدنيا ، فإن جهل الدنيا مبتوت ، واقنع منها بالقليل ، وأعلم بأنك تموت »[2] .

نحن بحاجة لعلو الهمة ، وأن نرتفع لمستوى إسلامنا ، وديننا ، ولا ننخدع بزخرف فان ، وعارية مسترجعة ، ودنيا لا بقاء لها ، ولا وفاء ، وننصبغ بصبغة الإسلام ، ونحيا حياة الإيمان ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣] ، فهيا بنا نتعرف على أحكام الشريعة حتى تكون على بصيرة من أمرنا ، وأمر الناس ، وهيا بنا لنخلط الرغبة بالرهبة ، والإلحاف بالمسألة ، ونتابع العلم النافع بعمل صالح ، ونقدم الأهم على المهم فى: العلم ، والعمل، والدعوة إلى الله ، ونخاطب الناس على قدر عقولهم ،

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٤٩٠) .
(٢) « بحر الدموع » (٧٣) .

ونصلح دنياً الناس بدين الله ، حتى ننتقل نحن وهم من هذه الدار بسلام إلى دار السلام [1] .

وبعد :

فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

هذا آخر ما تيسر لنا جمعه وكتابته فى :

[وصف الدنيا في الكتاب والسُّنة] .

ولعلك أخى فى الله قد رأيت أننا لم نتعرض فى هذا الكتاب للكلام عن الزهد فى الدنيا ، وهذا لأنه سيُفرد للزهد كتاباً آخر بعنوان : « حقيقة الزهد » .

نتحدث فيه عن تعريف الزهد وبيان حقيقته ، وفضله وما إلى ذلك ...

والله تعالى أسأل القبول والنفع ، إنه سميع مجيب الدعاء .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو الحارث السويفي السلفي

خالد بن رمضان حسن جاب الله

---

(١) نقلاً من كتاب « هيا بنا نؤمن ساعة » للشيخ / سعيد عبد العظيم – حفظه الله – .

المراجـــع

١ – القرآن الكريم .

٢ – صحيح مسلم ، شرح الإمام النووى .

٣ – فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى .

٤ – السلسلة الصحيحة للشيخ / ناصر الدين الألبانى رحمه الله .

٥ – الزهد ، تحقيق محمد السعيد بسيونى زغلول، للإمام / أحمد بن حنبل .

٦ – لسان العرب ، لابن منظور .

٧ – الكشاف ، للزمخشرى .

٨ – البحر المحيط ، لأبى حيان .

٩ – الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبى .

١٠ – فى ظلال القرآن ، سيد قطب رحمه الله .

١١ – فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للعلامة المناوى .

١٢ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أبى نعيم أحمد الأصبهانى .

١٣ – المواعظ والمجالس « محقق » لابن الجوزى .

١٤ – جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر .

١٥ – مهلاً يا جامع الدنيا ، محمد بن أحمد سيد أحمد .

١٦ – جامع العلوم والحكمة ، للحافظ ابن رجب الحنبلى .

١٧ – بحر الدموع « محقق » لابن الجوزى .

الفهرس

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط. مصطفى كامل

إسكندرية ت:٥٤٤٦٤٩٦ - ٥٤٥٧٧٦٩